

الجامع لأحكام القرآن

والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان

تأليف

أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي

(ت ٦٧١ هـ)

تحقيق

الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي

شارك في تحقيق هذا الجزء

محمد زهران، عيسى عيسى، خالد العواد

محمد معتز كريم الدين

الجزء الثاني عشر

مؤسسة الرسالة

جميع الحقوق محفوظة للنَّاشِر
الطبعة الأولى
١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م



مؤسَّسَة الرِّسَالَة - وطى المصيطبة - شارع حبيب أبي شهلا - بناية المسكن، بيروت - لبنان
للطباعة والنشر والتوزيع تليفاكس: ٣٩٠٣١٩ - ٨١٥١١٢ فاكس: ٨١٨٦١٥ ص.ب.: ١١٧٤٦٠

Al-Resalah

PUBLISHERS

BEIRUT/LEBANON-Telefax: 815112-319039 Fax: 818615-P.O.Box: 117460
Email: Resalah@Cyberia.net.lb

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الرعد

مكيّة في قول الحسين وعكرمة وعطاء وجابر، ومدنية في قول الكلبي ومقاتل.
وقال ابن عباس وقتادة: مدنية إلا آيتين منها نزلتا بمكة؛ وهما قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّا قُرْءَانًا سَوَّيْتُمْ بِهِ الْجِبَالَ﴾ [إلى آخرهما] ^(١).

قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقَّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقَّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١﴾. ^(٢) ^(٣) «الْحَقُّ»، لا كما يقول المشركون: إنك تأتي به من تلقاء نفسك، فاعتصم به، واعمل بما فيه. قال مقاتل: نزلت حين قال المشركون: إنَّ محمداً أتى بالقرآن من تلقاء نفسه ^(٤).

«والذي» في موضع رفع عطفاً على «آيات»، أو على الابتداء، و«الحق» خبره؛ ويجوز أن يكون موضعه جراً على تقدير: وآيات الذي أنزل إليك، وارتفاع «الحق» على هذا على إضمار مبتدأ، تقديره: ذلك الحق؛ كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝١﴾ [البقرة: ١٤٦-١٤٧]. يعني: ذلك الحق ^(٥).

(١) النكت والعيون ٩١/٣، وما بين حاصرتين منه، وينظر زاد المسير ٢٩٩/٤.

(٢) ٢٣٧/١ وما بعدها.

(٣) قوله: هو، ليس في (م).

(٤) تفسير البغوي ٥/٣.

(٥) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٣٤٩/٢، ومشكل إعراب القرآن لمكي ٣٩٦/١.

قال الفراء^(١): وإن شئت جعلت «الذي» خفضاً نعتاً للكتاب، وإن كانت فيه الواو كما يقال: أتانا هذا الكتاب عن أبي حفص والفاروق [وأنت تريد عمر بن الخطاب]؛ ومنه قول الشاعر:

إلى المليكِ القَرْمِ وابنِ الهُمَامِ وليثِ الكتيبةِ في المُرْدَحَمِ^(٢)
يريد: إلى المليكِ القَرْمِ ابنِ الهُمَامِ ليثِ الكتيبةِ. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿١﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ الآية. لما بين تعالى أن القرآن حق، بين أن من أنزله قادر على الكمال؛ فانظروا في مصنوعاته لتعرفوا كمال قدرته. وقد تقدّم هذا المعنى.

وفي قوله: «بغيرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا» قولان: أحدهما: أنها مرفوعة بغيرِ عَمَدٍ ترونها، قاله قتادة وإياس بن معاوية وغيرهما. الثاني: لها عَمَدٌ، ولكننا لا نراها^(٣). قال ابن عباس: لها عَمَدٌ على جبل^(٤) قاف؛ ويمكن أن يقال على هذا القول: العَمَدُ قُدرته التي يُمِسِكُ بها السماوات والأرض، وهي غيرُ مرئية لنا، ذكره الزجاج^(٥).

(١) في معاني القرآن ٥٨/٢، وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٢) سلف هذا البيت ٨٥/٢، وقوله: القَرْمُ: السيد.

(٣) أخرج هذين القولين الطبري ٤٠٩/١٣ - ٤١١، وقال القول الأول أولى الأقوال بالصحة.

(٤) قوله: جبل، من (م)، وقاف: جبل محيط بالدنيا، كما في معاجم اللغة. والأثر أورده ابن الجوزي في زاد المسير ٣٠١/٤. وهو بنحو القول الثاني السالف. قال الرازي في تفسيره ٢٣٢/١٨: وهذا التأويل في غاية السقوط.

(٥) في معاني القرآن ١٣٦/٣.

وقال ابن عباس أيضاً: هي توحيدُ المؤمن. أُغِمِدَت السماء حين كادت تنفطر من كفر الكافر، ذكره العزّوني^(١). والعَمَدُ جمعُ عمود؛ قال النابغة:

وَحَيْسَ الْجِنَّ إِنِّي قَدْ أَذْنْتُ لَهُمْ يَبْنُونَ تَذْمُرَ بِالصُّفَّاحِ وَالْعَمَدِ^(٢)

﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْغَرِيِّ﴾ تقدّم الكلام فيه^(٣). ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾، أي: ذلّلهما لمنافع خلقه ومصالح عبادِه، وكلُّ مخلوقٍ مُذَلَّلٌ للخالق. ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، أي: إلى وقت معلوم، وهو فناء الدنيا وقيام الساعة التي عندها تُكَوِّرُ الشمس، وَيَخْفِيفُ القمر، وتتكبدُ النجوم، وتشتت الكواكب^(٤).

وقال ابن عباس: أراد بالأجل المسمّى درجاتهما ومنازلهما التي يتتّهان إليها لا يُجاوزانها^(٥).

وقيل: معنى الأجل المسمّى أنّ القمر يَقْطَعُ فَلْكَه في شهر، والشمس في سنة^(٦). ﴿يُدْبِرُ الْأَمْرَ﴾، أي: يصرفه على ما يريد. ﴿يُفْعِلُ الْآيَاتِ﴾، أي: يُبَيِّنُهَا، أي: من قدر على هذه الأشياء يقدر على الإعادة^(٧)؛ ولهذا قال: ﴿لَكُمْ يَلْقَاءُ رَبِّكُمْ تَوْفَئُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾ لما بيّن آيات السماوات بيّن آيات الأرض،

(١) صاحب كتاب عيون المعاني، كما ذكر المصنف ٢/٢٧٤، وتنظر ترجمته ثمة.

(٢) ديوان النابغة الذبياني ص ٣٣. وقوله: خيس، أي: ذلّل. والصُّفَّاح: حجارة رقائق عراض، واحدها: صُفَّاحَة. اللسان (خيس) و(صفح).

(٣) ٢٣٨/٩ - ٢٤٠.

(٤) ينظر تفسير الطبري ١٣/٤١١ - ٤١٢.

(٥) تفسير البغوي ٦/٣.

(٦) ينظر تفسير الرازي ١٨/٢٣٣، ومجمع البيان ١٣/١٣٨.

(٧) ينظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٣٦.

أي: بَسَطَ الْأَرْضَ طَوْلاً وَعَرْضاً ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾، أي: جبالاتاً ثوابتاً؛ واحداً راسية؛ لِأَنَّ الْأَرْضَ تَرْسُو بِهَا، أي: تثبت، والإرساء الثبوت^(١)؛ قَالَ عَتَّةُ^(٢): فَصَبَرْتُ عَارِفَةً لِّذَلِكَ حُرَّةً تَرْسُو إِذَا نَفْسُ الْجَبَانِ تَطْلُعُ وَقَالَ جَمِيل^(٣):

أَحِبُّهُ^(٤) وَالَّذِي أَرْسَى قَوَاعِدَهُ حُبًّا إِذَا ظَهَرَتْ آيَاتُهُ بَطْنًا وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعِطَاءُ: أَوَّلُ جَبَلٍ وُضِعَ عَلَى الْأَرْضِ أَبُو قُبَيْسٍ^(٥).

مسألة^(٦): فِي هَذِهِ الْآيَةِ رَدٌّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْأَرْضَ كَالْكُرَةِ، وَرَدٌّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْأَرْضَ تَهْوِي أَبْدأً بِمَا عَلَيْهَا^(٧)؛ وَزَعَمَ ابْنُ الرَّائِدِيِّ^(٨) أَنَّ تَحْتَ الْأَرْضِ جَسَماً صَعَاداً كَالرَّيْحِ الصَّعَادَةِ؛ وَهِيَ مَنْحَدَرَةٌ فَاعْتَدَلَ الْهَآوِي وَالصَّعَادِي فِي الْجَزْمِ وَالْقُوَّةِ فَتَوَافَقَا.

وَزَعَمَ آخَرُونَ أَنَّ الْأَرْضَ مُرَكَّبَةٌ مِنْ جَسْمَيْنِ، أَحَدُهُمَا مَنْحَدَرٌ، وَالْآخَرُ مُصْعَدٌ،

(١) تفسير الطبري ١٣/٤١٣ - ٤١٤ ، والنكت والعيون ٣/٩٢ .

(٢) فِي دِيَوَانِهِ ص ٤٩ ، وَسَلَفُ ٢/٦٥ .

(٣) كَذَا نَسَبَهُ الْمَآوَرِدِيُّ فِي النُّكْتِ وَالْعَيُونِ ٣/٩٢ ، وَنَقَلَهُ الْمُصَنِّفُ عَنْهُ ، وَلَمْ نَقِفْ عَلَيْهِ فِي دِيَوَانِهِ ، وَنَسَبَ فِي الْأَزْمَنَةِ وَالْأَمَكَنَةِ لِلْمَرْزُوقِيِّ ٢/٣٢٦ ، وَمَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٤/٣٧٤ لِأَعْرَابِيٍّ .

(٤) فِي النُّسخِ: أَحِبُّهَا ، وَالْمُثَبِّتُ مِنَ الْمَصَادِرِ السَّابِقَةِ ، وَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: «أَحِبُّهُ» يَعُودُ عَلَى مَا فِي الْبَيْتِ الَّذِي قَبْلَهُ:

سَلَّمَ عَلَى قَطْنٍ إِنْ كُنْتَ نَازِلَهُ سَلَامٌ مَنْ كَانَ يَهْوِي مَرَّةً قَطْنًا
وَقَطْنٌ: جَبَلٌ كَثِيرُ النَّخْلِ وَالْمِيَاهِ لِبَنِي عِيسَ .

(٥) النُّكْتِ وَالْعَيُونِ ٣/٩٣ ، وَتَفْسِيرُ الْبَغْوِيِّ ٣/٦ . وَأَبُو قُبَيْسٍ: جَبَلٌ مُشْرِفٌ عَلَى مَسْجِدِ مَكَّةَ . مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٤/٣٠٨ .

(٦) كَلَامُ الْمُصَنِّفِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ لَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ . وَوَقَعَ فِي (ظ): قُلْتُ ، بَدَلٌ: مَسْأَلَةٌ .

(٧) فِي (د) وَ(ز) وَ(م): تَهْوِي أَبْوَابُهَا عَلَيْهَا . وَالْمُثَبِّتُ مِنْ (ظ) .

(٨) أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ إِسْحَاقَ أَبُو الْحُسَيْنِ الزَّنْدِيقِيُّ الشَّهِيرُ ، كَانَ أَوَّلًا مِنْ مُتَكَلِّمِي الْمَعْتَزَلَةِ ، ثُمَّ تَزَنَّدَقَ ، وَاشْتَهَرَ بِالْإِلْحَادِ ، صَنَّفَ كِتَابًا كَثِيرًا يَطْمَعُ فِيهَا عَلَى الْإِسْلَامِ . مَاتَ سَنَةَ (٢٩٨هـ) لِسَانَ الْمِيزَانِ ١/٣٢٣ .

فاعتدلا ، فلذلك وقفت. والذي عليه المسلمون وأهل الكتاب القولُ بوقوف الأرض وسكونها ومدّها ، وأنَّ حركتها إنما تكون في العادة بزلزلة تصيبها.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنهَرَا﴾ أي: مياهاً جاريةً في الأرض، فيها منافعُ الخلق.

﴿وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَمَلٌ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ يعني^(١) صنفين. قال أبو عبيدة^(٢): الزوج واحدٌ، ويكون اثنين. الفراء^(٣): يعني بالزوجين هاهنا الذكر والأنثى. وهذا خلاف النص.

وقيل: معنى «زَوْجَيْنِ» نوعان، كالحُلُو والحامض، والرَّطْب واليابس، والأبيض والأسود، والصغير والكبير^(٤).

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾، أي: دلالات وعلاماتٍ ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَجِدٍ وَنُفْضِلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١﴾﴾

فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ﴾ في الكلام حذف، المعنى: وفي الأرض قطع متجاورات وغير متجاورات، كما قال: ﴿سَرِيلٌ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]، والمعنى: وتقيكم البرد، ثم حذف لعلم السامع. والمتجاورات: المدن وما كان عامراً، وغير متجاورات: الصحارى وما كان غير عامر^(٥).

(١) في (د) و(م): بمعنى.

(٢) في مجاز القرآن ١/٣٢٣.

(٣) في معاني القرآن ٢/٥٨.

(٤) زاد المسير ٤/٣٠٢.

(٥) معاني القرآن للنحاس ٣/٤٦٩.

الثانية: قوله تعالى: ﴿مُتَجَوِّزَاتٌ﴾، أي: قُرَى متدانيات، ترابها واحد، وماؤها واحد، وفيها زروع وجنات، ثم تتفاوت في الثمار والثمار؛ فيكون البعض حُلُوءاً، والبعض حامضاً، والغصن الواحد من الشجرة قد يختلف الثمر فيه من الصَّغَر والكِبَر واللون والطعم، وإن انبسط الشمس والقمر على الجميع على نسقٍ واحد، وفي هذا أدلُّ دليلٍ على وحدانيته وعِظَم صَمَدِيَّتِهِ، والإرشاد لمن ضلَّ عن معرفته، فإنه نَبَّه سبحانه بقوله: «تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ» على أنَّ ذلك كله ليس إلا بمشيئته وإرادته، وأنه مقدورٌ بقدرته؛ وهذا أدلُّ دليلٍ على بطلان القول بالطَّبع؛ إذ لو كان ذلك بالماء والتراب والفاعل له الطبيعة لَمَا وقع الاختلاف.

وقيل: وجه الاحتجاج أنه أثبت التفاوت بين البقاع، فمن تربة عذبة، ومن تربة سَيْخَةٍ مع تجاورهما^(١)، وهذا أيضاً من دلالات كمال قدرته، جلَّ وعزَّ؛ تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون عُلوًّا كبيراً^(٢).

الثالثة: ذهبت الكفرة - لعنهم الله - إلى أنَّ كلَّ حادثٍ يحدث بنفسه لا من صانع، وادَّعوا ذلك في الثمار الخارجة من الأشجار، وقد أقرُّوا بحدوثها، وأنكروا مُحْدِثَهَا، وأنكروا الأعراض. وقالت فرقة بحدوث الثمار لا من صانع، وأثبتوا للأعراض فاعلاً.

والدليل على أنَّ الحادث لا بدَّ له من مُحْدِث أنه يحدث في وقت، ويحدث ما هو من جنسه في وقت آخر، فلو كان حدوثه في وقته لاختصاصه به؛ لوجب أن يحدث في وقته كلُّ ما هو من جنسه، وإذا بطل اختصاصه بوقته؛ صحَّ أن اختصاصه به لأجل مُخَصَّصٍ خَصَّصَهُ به، ولولا تخصيصه إيَّاه به لم يكن حدوثه في وقته أولى من حدوثه قبل ذلك أو بعده، واستيفاء هذا في علم الكلام.

(١) في النسخ الخطية: تجاورها، والمثبت من (م).

(٢) ينظر تفسير الرازي ١٩/٦ - ٧، وزاد المسير ٣٠٣/٤ - ٣٠٤.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَجَنَّتْ مِنْ أَعْتَابِ﴾ قرأ الحسن: «وَجَنَّتْ»^(١) بكسر التاء على تقدير^(٢): وجعل فيها جنات، فهو محمولٌ على قوله: «وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَّ». ويجوز أن تكونَ مجرورةً على الحمل على «كُلَّ». التقدير: ومن كلِّ الثمرات، ومن جَنَّتْ^(٣). الباقون: «جَنَّتْ» بالرفع على تقدير: وبينهما جنات^(٤).

﴿وَزَرْعٌ وَيَنْخِيلٌ صُنُونٌ وَغَيْرُ صُنُونٍ﴾ بالرفع: ابن كثير وأبو عمرو وحفص عطفاً على الجَنَّتْ، أي: على تقدير: وفي الأرض زَرْعٌ ونخيل. وخَفَضَهَا الباقون نَسَقاً على الأعناب^(٥)، فيكون الزرع والنخيل من الجَنَّتْ، ويجوز أن يكونَ معطوفاً على «كُلَّ» حسب ما تقدّم في «جَنَّتْ».

وقرأ مجاهد والسلمي وغيرهما: «صُنُونٌ»^(٦) بضم الصاد، الباقون بالكسر، وهما لغتان، وهما جمع صنو، وهي النَّخْلَات والنَّخْلَتَان، يجمعهنَّ أصلٌ واحدٌ، وتشعّب منه رؤوسٌ فتصير نخيلاً، نظيرها قُنُون، واحداً قِنُونٌ^(٧).

وروى أبو إسحاق عن البراء قال: الصُّنُون: المُجْتَمِع، وغيرُ الصُّنُون: المُتَفَرِّق^(٨)، النحاس^(٩): وكذلك هو في اللغة، يقال للنخلة إذا كانت فيها نخلة أخرى أو أكثر: صُنُون.

(١) القراءات الشاذة ص ٦٦ .

(٢) في (ط): وتقدير، وفي (م): على التقدير.

(٣) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٣٥٠/٢ .

(٤) أو بالعطف على «قطع».

(٥) السبعة ص ٣٥٦ ، والتيسير ص ١٣١ ، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٣٥٠/٢ ، والحجة لأبي علي الفارسي ٦/٥ .

(٦) القراءات الشاذة ص ٦٦ ، والمحاسب ٣٥١/١ .

(٧) ينظر تفسير الطبري ٤٢١/١٣ ، وتهذيب اللغة ٢٤٣/١٢ .

(٨) أخرجه الطبري ٤٢١/١٣ . وأبو إسحاق: هو عمرو بن عبد الله السبيعي.

(٩) في معاني القرآن ٤٧٠/٣ . وما قبله منه.

والصُّنُو: المِثْلُ؛ ومنه قولُ النبي ﷺ: «عَمَّ الرَّجُلُ صِنُو أَبِيهِ»^(١). ولا فرقَ فيها بين التثنية والجمع، إلا بالإعراب^(٢)، فتعربُ نون الجمع، وتكسر نون التثنية؛ قال الشاعر:

العلمُ والحلمُ خَلَّتَا كَرَمَ للمرءِ زَيْنٌ إذا هُمَا اجْتَمَعَا
صِنُوَانٍ لَا يُسْتَتَمُ حُسْنُهُمَا إِلَّا بِجَمْعٍ لَذَا^(٣) وَذَاكَ مَعَا
الخامسة: قوله تعالى: ﴿تُسْقَى بِمَاءٍ وَاجِدٍ﴾ كصالح بَنِي آدَمَ وَخَبِيثِهِمْ، أبوهم واحد؛ قاله البخاري^(٤).

وقرأ عاصمٌ وابنُ عامر: «يُسْقَى» بالياء، أي: يُسقى ذلك كله. وقرأ الباقر بالتاء^(٥)، لقوله: «جَنَاتٌ»، واختاره أبو حاتم وأبو عبيد^(٦)؛ قال أبو عمرو: والتأنيث أحسن؛ لقوله: ﴿وَيُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾ ولم يقل: بعضه^(٧).
وقرأ حمزةٌ والكسائي وغيرهما: «وَيُفَضِّلُ»^(٨) بالياء رَدًّا على قوله: «يُدَبِّرُ الْأُمْرَ»، و«يُفَضِّلُ»، و«يُعْشِي». الباقر بالنون على معنى: ونحن نُفَضِّلُ^(٩).

وروى جابر بن عبد الله قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول لعليّ عليه السلام: «الناسُ من شجرٍ

(١) أخرجه أحمد (٨٢٨٤)، ومسلم (٩٨٣) من حديث أبي هريرة عليه السلام، وفيه قصة منع ابن جميل وخالد بن الوليد والعباس عليه السلام الصدقة، وهي عند البخاري (١٤٦٨) دون قوله: «عم الرجل صنو أبيه».

(٢) في (د) و(ز) و(م): ولا بالإعراب. وينظر تفسير الطبري ٤٢١/١٣.

(٣) في (د) و(ز) و(م): بجمع ذا، وهو كذلك في النكت والعيون ٩٣/٣ (والبيتان فيه) والمثبت من (ظ)، والبيتان أيضاً في عيون الأخبار ١٢١/٢، وتاريخ دمشق ٦/٧، ونسبهما ابن عساكر لسابق بن عبد الله اليزيدي.

(٤) في (م): قاله النحاس والبخاري. وعلقه البخاري عن مجاهد في أول تفسير سورة الرعد.

(٥) السبعة ص ٣٥٦، والتيسير ص ١٣١.

(٦) في (م): وأبو عبيدة، وبعده في (ز): قال أبو عبيدة: قال أبو عمرو...

(٧) الكلام بنحوه في إعراب القرآن للنحاس ٣٥١/٢.

(٨) وقرأ بها خلف من العشرة. النشر ٢٩٧/٢.

(٩) السبعة ص ٣٥٦، والتيسير ص ١٣١. وينظر إعراب القرآن للنحاس ٣٥١/٢، وتفسير الرازي ٨/١٩.

شَتَّى، وأنا وأنت من شجرة واحدة»، ثم قرأ النبي ﷺ: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّزَةٌ﴾ حتى بلغ قوله: «يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ»^(١).

و«الأكل» الثمر، قال ابن عباس: يعني: الحلو والحامض، والفارسي والدقل^(٢).

وروي مرفوعاً من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال في قوله تعالى: ﴿وَنُفِثَ لَهَا فَيْصٌ مِّنْ عَنَابِهَا﴾، قال: «الفارسي والدقل، والحلو والحامض»^(٣). ذكره الثعلبي.

قال الحسن: المراد بهذه الآية المثل؛ ضربه الله تعالى لبني آدم، أصلهم واحد، وهم مختلفون في الخير والشر والإيمان والكفر، كاختلاف الثمار التي تُسقى بماء واحد^(٤)، ومنه قول الشاعر:

بَنُو آدَمَ كَالنَّبَاتِ وَنَبْتُ الْأَرْضِ أَلْوَانٌ^(٥)
فَمِنْهُ^(٦) شَجَرُ الصَّنَدِ لَوَ الْكَافُورِ وَالْبَانِ
وَمِنْهُ^(٧) شَجَرٌ يَنْضَحُ طَوَّلَ الدَّهْرَ قَطْرَانِ

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ٢/ ٢٤١، وقال: حديث صحيح ولم يخرجاه. وتعقبه الذهبي في التلخيص بقوله: لا والله، هارون بن حاتم (أحد رجال الإسناد) هالك.

(٢) أخرجه الطبري ١٣/ ٤٣٠. وقوله: الفارسي: يعني: تمرأ فارسيأ، وهو نوع جيد. والدقل: أردأ التمر. المصباح المنير (فرس) ودقل).

(٣) أخرجه الترمذي (٣١١٨) وقال: حديث حسن غريب! قال ابن الجوزي في العلل المتناهية ٢/ ٦٥٨: هذا الحديث لا يصح عن رسول الله ﷺ [في إسناده] سيف بن محمد الثوري متفق على كذبه. قال أحمد: كان يضع الحديث. اهـ. وأخرجه من طريق أخرى الطبري ١٣/ ٤٣١. قال العقيلي في الضعفاء ٢/ ١٣١: وهذا الحديث إنما يعرف بسيف بن محمد.

(٤) النكت والعيون للماوردي ٣/ ٩٤.

(٥) في (د) و(ز) و(م): الناس كالنبت والنبت ألوان. والمثبت من (ظ) وهو الموافق للمصادر. والأبيات في التمثيل والمحاضرة للثعالبي ص ٢٧٥، والتدوين في أخبار قزوين ١/ ٧٠ وقائلها منصور الفقيه.

(٦) في (د) و(ز) و(م): منها، وفي (ظ): فمنها، والمثبت من المصادر.

(٧) في النسخ: ومنها، والمثبت من المصادر.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي: لعلامات لمن كان له قلب يفهم عن الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُكُمْ إِذْآ كُنَّا تُرَابًا لِّمَن لِّمَن خَلَقَ جَدِيدٌ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُكُمْ﴾، أي: إن تعجب يا محمد من تكذيبهم لك بعد ما كنت عندهم الصادق الأمين؛ فأعجب منه تكذيبهم^(١) بالبعث؛ والله تعالى لا يتعجب، ولا يجوز عليه التعجب؛ لأنه تغيّر النفس بما تخفى أسبابه، وإنما ذكر ذلك ليتعجب منه نبيه ﷺ والمؤمنون^(٢).

وقيل: المعنى: أي: إن عجب يا محمد من إنكارهم الإعادة مع إقرارهم بأني خالق السماوات والأرض والثمار المختلفة من الأرض الواحدة؛ فقولهم عجب يعجب منه الخلق؛ لأن الإعادة في معنى الابتداء^(٣).

وقيل: الآية في منكري الصانع، أي: إن تعجب من إنكارهم الصانع مع الأدلة الواضحة بأن المتغير لا بد له من مُغيّر؛ فهو محلّ التعجب. ونظم الآية يدل على الأول والثاني؛ لقوله: ﴿إِذْآ كُنَّا تُرَابًا﴾ أي: أنبعث إذا كنا تراباً؟!.

﴿أَوَلَمْ يَلَمْ يَخْلُقْ جَدِيدٌ﴾ وقرئ: «إنا»^(٤). و﴿الْأَغْلُلُ﴾ جمع غُل؛ وهو طوق تُشدُّ به اليد إلى العنق، أي: يُغلون يوم القيامة؛ بدليل قوله: ﴿إِذْآ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يَسْتَجْرُونَ﴾ [غافر: ٧١-٧٢]. وقيل: الأغلال: أعمالهم السيئة التي هي لازمة لهم^(٥).

(١) في (ظ): فاعجب من تكذيبهم.

(٢) النكت والعيون ٩٤/٣ - ٩٥.

(٣) ينظر تفسير زاد المسير ٣٠٤/٤، وتفسير الرازي ٨/١٩ - ٩.

(٤) قرأ بها نافع والكسائي. السبعة ص ٣٥٧، والتيسير ص ١٣٢.

(٥) ينظر معاني القرآن للزجاج ١٣٩/٣، والوسيط للواحدي ٥/٣، والمححر الوجيز ٢٩٦/٣.

قوله تعالى: ﴿وَسْتَغْلِبُكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَقْفِرٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ①﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنْمَّا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَسْتَغْلِبُكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ أي: لِفِرْط إنكارهم وتكذيبهم يطلبون العذاب. قيل: هو قولهم: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: ٣٢].

قال قتادة: طلبوا العقوبة قبل العافية^(١)، وقد حكم سبحانه بتأخير العقوبة عن هذه الأمة إلى يوم القيامة.

وقيل: «قَبْلَ الْحَسَنَةِ»، أي: قبل الإيمان الذي يُرجى به الأمان والحسنات^(٢). و﴿الْمَثَلَتُ﴾: العقوبات، الواحدة مَثَلَةٌ. ورُوي عن الأعمش أنه قرأ: [«المَثَلَاتُ، بضم الميم والثاء^(٣)، وهذا جمع: مَثَلَةٌ، ورُوي عنه أنه قرأ] «المَثَلَاتُ» بضم الميم وإسكان الثاء^(٤)، وهذا أيضاً جمعُ مَثَلَةٍ، ويجوز: «المَثَلَاتُ»؛ تُبدلُ من الضمة فتحة لِثقلها، وقيل: يُؤتى بالفتحة عوضاً من الهاء. ورُوي عن الأعمش أنه قرأ: «المَثَلَاتُ» بفتح الميم وإسكان الثاء^(٥)؛ فهذا جمعُ مَثَلَةٍ، ثم حَذَفَ الضمة لِثقلها؛ ذكره جميعه النحاسُ رحمه الله^(٦).

وعلى قراءة الجماعة واحدة: مَثَلَةٌ، مثل: صَدَقَةٌ وَصَدَقَاتُ^(٧).

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣/٣٥٢، وقول قتادة أخرجه الطبري ١٣/٤٣٦.

(٢) ينظر النكت والعيون ٣/٩٥.

(٣) ذكرها عنه أبو حيان في البحر ٥/٣٦٠، ونسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٦٦ لعيسى بن عمر، وذكرها ابن جني ١/٣٥٤ دون نسبة.

(٤) نسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٦٦ وابن جني في المحتسب ١/٣٥٣ ليحيى بن وثّاب.

(٥) نسبها في القراءات الشاذة ص ٦٦ ليحيى بن وثّاب، وفي المحتسب ١/٣٥٣ لعيسى الثقفي وطلحة بن سليمان وللأعمش عن يحيى بن وثّاب.

(٦) في معاني القرآن ٢/٤٧٢ - ٤٧٣، وما بين حاصرتين منه. وجمع: مَثَلَةٌ على: مَثَلَاتٍ؛ على غير قياس، ينظر المحتسب ١/٣٥٤.

(٧) في (د) و(ز) و(م): نحو صدقة وصدقة، والمثبت من (ظ)، وينظر المحرر الوجيز ٣/٢٩٦.

وتميمٌ تضم الثاء والميم جميعاً، واحداً على لغتهم مُثْلَة، بضم الميم وجزم الثاء؛ مثل: عُزْفَة وعُزْفَات؛ والفعلُ منه: مَثَلْتُ به أمثُلُ مثلاً، بفتح الميم وسكون الثاء^(١).

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾، أي: لذو تجاوز عن المشركون إذا آمنوا وعن المذنبين إذا تابوا. وقال ابن عباس: أرجى آية في كتاب الله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلُمِهِمْ﴾^(٢). ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ إذا أصرّوا على الكفر.

وروى حماد بن سلمة عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيّب قال: لما نزلت: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلُمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ قال رسول الله ﷺ: «لولا عفو الله ورحمته وتجاوزه لما هتأ أحدٌ عيش، ولولا عقابه ووعيده وعذابه لا تأكل كلُّ أحد»^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا﴾ أي: هلاً ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ مَائِكَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾. لما اقترحوا الآيات وطلبوها قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾ أي: مُعْلِم. ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ أي: نبيٌّ يدعوهم إلى الله. وقيل: الهادي الله، أي: عليك الإنذار، والله هادي كل قوم إن أراد هدايتهم^(٤).

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَكَّمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْفٍ وَمَا يَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزِدُّهُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ۝ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ۝﴾
فيه تسع^(٥) مسائل:

(١) الكلام بنحوه في تفسير الطبري ٤٣٥/١٣.

(٢) أورده النحاس في إعراب القرآن ٣٥٢/٢، وابن عطية في المحرر الوجيز ٢٩٦/٣.

(٣) معاني القرآن للنحاس ٤٧٣/٣، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٢٢٤/٧ (١٢١٤٥)، والواحدي في الوسيط ٦/٣، وهو مرسل.

(٤) ينظر تفسير الطبري ٤٤٠/١٣.

(٥) في (د) و(ز): ثمانية، وفي (م): ثمان، والمثبت من (ظ)، وهو الموافق لعدد المسائل المذكورة.

الأولى: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾ أي: من ذكر وأنثى، صبيح وقبيح، صالح وطالح؛ وقد تقدّم في سورة الأنعام^(١) أن الله سبحانه منفرد بعلم الغيب وحده لا شريك له؛ وذكرنا هناك حديث البخاري عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمس» الحديث، وفيه: «ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله»^(٢).

واختلف العلماء في تأويل قوله: ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ فقال قتادة المعنى: ما تُسقط قبل التسعة الأشهر، وما تزداد فوق التسعة، وكذلك قال ابن عباس.

وقال مجاهد: إذا حاضت المرأة في حملها كان ذلك نقصاناً في ولدها؛ فإن زادت على التسعة كان تماماً لِمَا نقص. وعنه: الغيض ما تنقصه الأرحام من الدم، والزيادة ما تزداد منه^(٣).

وقيل: الغيض^(٤) والزيادة يرجعان إلى الولد، كنقصان إصبع أو غيرها، وزيادة إصبع أو غيرها.

وقيل: الغيض: انقطاع دم الحيض [في الحمل]. «وَمَا تَزْدَادُ»: بدم النفاس بعد الوضع^(٥).

الثانية: في هذه الآية دليل على أن الحامل تحيض؛ وهو مذهب مالك والشافعي في أحد قوليه. وقال عطاء والشَّعْبِيُّ وغيرُهما: لا تحيض. وبه قال أبو حنيفة^(٦).

(١) ٤٠١/٨.

(٢) صحيح البخاري (٤٦٩٧)، وسلف ٤٠١/٨.

(٣) أخرج هذه الأقوال الطبري ٤٤٥/١٣ - ٤٥١.

(٤) في (ظ): النقص.

(٥) النكت والعيون ٩٦/٣، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٦) ينظر الأوسط لابن المنذر ٢٣٨/٢ - ٢٤٠، والمحرر الوجيز ٢٩٩/٣.

ودليلنا^(١) الآية؛ قال ابن عباس في تأويلها: إنه حيضُ الحبالى. وكذلك رُوي عن عكرمة ومجاهد^(٢). وهو قولُ عائشة، وأنها كانت تفتي النساء الحوامل إذا حيضن أن يتركن الصلاة^(٣)؛ والصحابةُ إذ ذاك متوافرون، ولم يُنكر منهم أحدٌ عليها، فصار كالإجماع؛ قاله ابن القصار. وذكر أن رجلين تنازعا ولداً، فترافعا إلى عمر رضي الله عنه، فعرضه على القافة، فالحقه القائفُ بهما، فعلاه عمر بالدرّة، وسأل نِسوةً من قريش فقال: انظرن ما شأنُ هذا الولد؟ فقلن: إنّ الأول خلا بها وخلاًها، فحاضت على الحمل، فظننت أن عِدَّتْها انقضت، فدخل بها الثاني، فانتعش الولد بماء الثاني. فقال عمر: الله أكبر! وألحقه بالأول^(٤)، ولم يقل: إنّ الحامل لا تحيض، ولا قال ذلك أحدٌ من الصحابة؛ فدلّ على أنه إجماعٌ، والله أعلم.

احتجّ المخالف بأن قال: لو كانت الحاملُ تحيض، وكان ما تراه من الدم^(٥) حيضاً لما صحَّ استبراء الأمة بحيض^(٦)؛ وهو إجماعٌ^(٧). ورُوي عن مالك في كتاب محمد ما يقتضي أنه ليس بحيض^(٨).

(١) في (د) و(ز) و(م): ودليله.

(٢) خبر مجاهد تقدم في المسألة الأولى، وخبر عكرمة أخرجه الطبري ٤٤٨/١٣، وينظر عن ابن عباس ما أخرجه الطبري ٤٤٤/١٣، وابن أبي حاتم ٢٢٢٦/٧ (١٢١٦١)، وينظر أيضاً أحكام القرآن للجصاص ١٨٠/٣ - ١٨٢.

(٣) أخرجه ابن المنذر في الأوسط ٢٣٩/٢ - ٢٤٠، وهو في المدونة ٥٥/١، وأخرج الدارمي (٩٢٤) عن يحيى بن سعيد قال: أمر لا يختلف فيه عندنا عن عائشة: المرأة الحبلى إذا رأت الدم أنها لا تصلي حتى تطهر.

(٤) أخرجه بنحوه مالك في الموطأ ٧٤٠/٢ - ٧٤١، وعبد الرزاق (١٣٤٥٠) و(١٣٤٥١).

(٥) في (م): ما تراه المرأة من الدم.

(٦) في (ظ): بحيضة، وهو أشبه. وينظر ما سلف ٢٠١/٦.

(٧) المحرر الوجيز ٢٩٩/٣، وينظر أحكام القرآن للجصاص ١٨١/٣، والأوسط ٢٤٠/٢. وذكر ابن المنذر عن بعض أصحاب هذا القول قوله: إن في إجماعهم على أن الأمة إذا حاضت حلّ وطؤها، مع إجماعهم على أن الحامل لا يحل وطؤها حتى تضع، دليل بين على أن الحامل مُحالٌ وجود الحيض فيها.

(٨) المحرر الوجيز ٢٩٩/٣. وقد ثبت علمياً أن الحامل لا تحيض، وأما الدم الذي يخرج أثناء الحمل =

الثالثة: في هذه الآية دليل على أن الحامل قد تضع حملها لأقل من تسعة أشهر وأكثر، وأجمع العلماء على أن أقل الحمل ستة أشهر، وروى أن عبد الملك^(١) بن مروان ولد لسته أشهر.

الرابعة: وهذه الستة الأشهر هي بالأهله كسائر أشهر الشريعة؛ ولذلك قد روي في المذهب عن بعض أصحاب مالك - وأظنه في كتاب ابن حارث^(٢) - أنه إن نقص من^(٣) الأشهر الستة ثلاثة أيام، فإن الولد يلحق لعله نقص الشهور وزيادتها؛ حكاه ابن عطية^(٤).

الخامسة: واختلف العلماء في أكثر الحمل؛ فروى ابن جريج عن جميلة بنت سعد، عن عائشة قالت: لا يكون الحمل أكثر من سنتين قدر ما يتحول ظل المغزل؛ ذكره الدارقطني^(٥). وقال^(٦): جميلة بنت سعد أخت عبيد بن سعد^(٧).

= فإنه راجع إلى أسباب مرضية مختلفة، تطول مدة خروجه أو تقصر على حسب أسبابه، وليس هو بدم حيض.

(١) في (د) و(ز) و(م): وإن عبد الملك، بدل: وروى أن عبد الملك، والمثبت موافق لما في المحرر الوجيز ٢٩٩/٣، والكلام منه.

(٢) لعله محمد بن حارث بن إسماعيل الخشني، أبو عبد الله، تفقه بالقيروان، كان حافظاً للفقهاء عالماً بالفتيا، ألف كتابه في الاتفاق والاختلاف في مذهب مالك، وكتاب الفتيا، وكتاب فقهاء المالكية، وغير ذلك، توفي سنة (٣٦١هـ). ترتيب المدارك ٥٣١/٤.

(٣) في (م): عن.

(٤) في المحرر الوجيز ٢٩٩/٣.

(٥) في سننه (٣٨٧٥)، وأخرجه بنحوه سعيد بن منصور في سننه (٢٠٧٧)، قال ابن حزم في المحلى ٢١٦/١٠: جميلة بنت سعد مجهولة، لا يُدرى من هي، فبطل هذا القول. اهـ. قوله: ظل المغزل: هو مثل لقلته؛ لأن ظله حالة الدوران أسرع من جميع الظلال، وهو على حذف مضاف تقديره: ولو بقدر ظل المغزل. ينظر البحر الرائق ١٧٧/٤.

(٦) في النسخ: وقالت، والمثبت هو الصواب، وقاله الدارقطني إثر الحديث السالف.

(٧) الديلي، طائفي، أبو امرأة ابن جريج، سمع عبد الله بن عمر، قال فيه ابن معين: مشهور. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٤٠٧/٥.

وعن الليث بن سعد: إِنَّ أَكْثَرَهُ ثَلَاثُ سَنِينَ. وعن الشافعي: أَرْبَعُ سَنِينَ؛ وَرُوِيَ
عن مالك في إحدى روايته، والمشهورُ عنه خَمْسُ سَنِينَ، وَرُوِيَ عنه: لَا حَدَّ لَهُ وَلَوْ
زَادَ عَلَى الْعَشْرَةِ الْأَعْوَامِ، وَهِيَ الرِّوَايَةُ الثَّلَاثَةُ عَنْهُ. وعن الزهري: سِتٌّ وَسَبْعٌ^(١).

قال أبو عمر^(٢): [فمالك يجعله خمس سنين] وَمِنْ أَصْحَابِهِ^(٣) مَنْ يَجْعَلُهُ إِلَى
سَبْعٍ. والشافعي مَدَّتُهُ^(٤) [عنده] الْغَايَةَ فِيهَا^(٥) أَرْبَعُ سَنِينَ. والكوفيون يقولون: سِتَّتَانِ لَا
غَيْرَ. ومحمد بن عبد الحكم يقول: سَنَةٌ لَا أَكْثَرَ. وداود يقول: تِسْعَ أَشْهُرٍ، لَا يَكُونُ
عِنْدَهُ حَمْلٌ أَكْثَرَ مِنْهَا.

قال أبو عمر: وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ لَا أَصْلَ لَهَا إِلَّا الْاجْتِهَادُ، وَالرَّدُّ إِلَى مَا عُرِفَ مِنْ أَمْرِ
النِّسَاءِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

رَوَى^(٦) الدَّارَقُطْنِيُّ^(٧) عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: قُلْتُ لِمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ: إِنِّي حُدِّثْتُ
عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: لَا تَزِيدُ الْمَرْأَةَ فِي حَمْلِهَا عَلَى سِتِّينَ قَدْرَ ظِلِّ الْمَغْرَلِ، فَقَالَ:
سُبْحَانَ اللَّهِ! مَنْ يَقُولُ هَذَا؟! هَذِهِ جَارِئَتُنَا امْرَأَةُ مُحَمَّدِ بْنِ عَجْلَانَ امْرَأَةُ صَدِيقٍ،
وَزَوْجُهَا رَجُلٌ صَدِيقٌ، حَمَلَتْ ثَلَاثَةَ أَبْطُنٍ فِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، تَحْمِلُ كُلَّ بَطْنٍ أَرْبَعَ
سَنِينَ.

وَذَكَرَ عَنِ الْمُبَارَكِ بْنِ مُجَاهِدٍ قَالَ: مَشْهُورٌ عِنْدُنَا كَانَتْ امْرَأَةُ مُحَمَّدِ بْنِ عَجْلَانَ
تَحْمِلُ وَتَضَعُ فِي أَرْبَعِ سَنِينَ، وَكَانَتْ تُسَمَّى حَامِلَةَ الْفِيلِ^(٨).

(١) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٩٧/٣ .

(٢) في الاستذكار ١٧٨/٢٢ - ١٧٩ ، وما سيرد بين حاضرتين منه.

(٣) في النسخ: ومن الصحابة، والمثبت من الاستذكار.

(٤) في (د) و(ز) و(م): مدة، والمثبت من (ظ)، وهو الموافق لما في الاستذكار.

(٥) في (د) و(ز) و(م): منها، وفي (ظ): فيه، والمثبت من الاستذكار.

(٦) قبلها في (ظ): قلت.

(٧) في سننه (٣٨٧٧).

(٨) سنن الدارقطني (٣٨٧٨).

وَرَوَى أَيْضاً قَالَ: بينما مالك بن دينار يوماً جالس، إذ جاءه رجل فقال: يا أبا يحيى! ادعُ لامرأةٍ حُبلى منذ أربع سنين قد أصبحت في كَرْبٍ شديدٍ، فغضب مالك وأطبق المصحف، ثم قال: ما يرى هؤلاء القومُ إلا أنا أنبياء! ثم قرأ، ثم دعا، ثم قال: اللهم هذه المرأة إن كان في بطنها ريحٌ فأخرجها عنها الساعة، وإن كان في بطنها جاريةٌ فأبدلها بها غلاماً، فإنك تَمْحُو ما تشاء وتُثَبِّت، وعندك أم الكتاب، ثم رفع مالك يده، ورفع الناس أيديهم، وجاء الرسول إلى الرجل فقال: أدرك امرأتك فذهب الرجل؛ فما حظَّ مالك يده حتى طلع الرجل من باب المسجد على رقبته غلامٌ جَعْدٌ قَطَطٌ، ابنُ أربع سنين، قد استوت أسنانه، ما قُطِعت سِرارُهُ^(١).

وَرَوَى أَيْضاً: أنَّ رجلاً جاء إلى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين، إني غِبْتُ عن امرأتي ستين، فجننت وهي حُبلى! فشاوَرَ عمر الناس في رجمها، فقال معاذ ابن جبل: يا أمير المؤمنين، إن كان لك عليها سبيلٌ فليس لك على ما في بطنها سبيلٌ، فاتركها حتى تَضَع. فتركها، فولدت^(٢) غلاماً قد خرجت ثنيتاه، فعرف الرجل الشَّبه [فيه]، فقال: ابني ورب الكعبة! فقال عمر: عجزت النساء أن يلدنَّ مثلَ معاذ، لولا معاذُ لهلك عمر^(٣).

وقال الضحَّاك: وضعتني أمي وقد حملت بي في بطنها سنتين، فولدتني وقد خرجت سنِّي^(٤).

(١) سنن الدارقطني (٣٨٧٩)، وقوله: جَعْدٌ قَطَطٌ؛ الجَعْدُ من الشعر خلاف السَّبَط، والسَّبَطُ: المنبسط المسترسل، والقَطَطُ: الشديد الجعودة. اللسان (جعد، قطط).

(٢) في (د) و(ز) و(م): فوضعت، والمثبت من (ظ)، وهو الموافق لسنن الدارقطني.

(٣) سنن الدارقطني (٣٨٧٦)، وما سلف بين حاصرتين منه، وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة ٨٨/١٠، وسعيد بن منصور (٢٠٧٦). وذكر ابن حزم في المحلى ٣١٦/١٠ أن هذا الخبر باطل؛ لأنه عن أبي سفيان، وهو ضعيف، عن أشياخ لهم، وهم مجهولون.

(٤) أورده ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٩٩/٣.

ويُذكر عن مالك أنه حُمِلَ به في بطن أمّه ستينين، وقيل: ثلاث سنين^(١).
ويقال: إنّ محمد بن عجلان مكث في بطن أمّه ثلاث سنين، فماتت به وهو
يضطرب اضطراباً شديداً، فشُقَّ بطنها وأُخرج وقد نبتت أسنانه^(٢).
وقال حمّاد بن سلمة: إنما سُمي هَرْمُ بن حيّان هَرْمًا؛ لأنه بقي في بطن أمّه أربع
سنين^(٣).

وذكر العَرَنَوِيُّ أَنَّ الضحّاك وُلد لستينين، وقد طلعت سنّه فسُمي ضحّاكاً^(٤).
عبّاد بن العوّام: ولدت جارة لنا^(٥) لأربع سنين غلاماً شعره إلى منكبيه، فمرّ به
طيرٌ، فقال: كش^(٦).

السادسة: قال ابن خُوَيزَمَنَدَاد: أقلُّ الحيض والنفاس وأكثره، وأقلُّ الحمل
وأكثره، مأخوذ من طريق الاجتهاد؛ لأنَّ علم ذلك استأثر الله به، فلا يجوز أن يُحكَمَ

(١) أخرج البيهقي ٤٤٣/٧ عن الواقدي عن مالك قال: قد يكون الحمل سنين وأعرف من حملت به أمه
أكثر من ستينين، يعني نفسه. وأخرج عن الواقدي أيضاً أن أم مالك حملت به في البطن ثلاث سنين.

(٢) أوردته الذهبي في السير ٣١٨/٦، وذكره ابن قتيبة في المعارف ص ٥٩٥ بنحوه.

(٣) أوردته ابن قتيبة في المعارف ص ٥٩٥. وهرم بن حيان هو العبدى، ويقال: الأزدي، أحد العابدين،
وولي بعض الحروب في أيام عمر وعثمان ببلاد فارس. السير ٤٨/٤.

(٤) ذكره السرخسي في المبسوط ٤٥/٦، إلا أنه قال: لأربع سنين، بدل: ستينين.

(٥) في (ظ): ولدت جارية له.

(٦) قال ابن حزم في المحلى ٣١٦/١٠: لا يجوز أن يكون حمل أكثر من تسعة أشهر، ولا أقل من ستة
أشهر؛ لقول الله تعالى: ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ وقال تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن
حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ فمن ادّعى أن حملاً وفصلاً يكون في أكثر من ثلاثين شهراً
فقد قال الباطل والمحال، وردّ كلام الله عز وجل جهاراً. اهـ.

وقد ثبت علمياً أن الدورة الطمثية قد تنقطع لسبب فيزيولوجي، كما هو الحال عند المرضعة، أو لسبب
مرضي، كما هو الحال عند وجود ضعف في الإباضة، أو وجود خلل في الهرمونات، مما يؤدي إلى
عدم حدوث الدورة الطمثية لأشهر، أو لسنين أحياناً، ثم تنشط الإباضة فجأة، ويحدث الحمل، فيُظن
أن المدة السالفة كلها هي مدة الحمل، وليس كذلك، فالحمل الحقيقي لن يزيد عن وقته (وهو تسعة
أشهر) أكثر من شهر، وإلا لمات الجنين في بطن أمه.

في شيء منه إلا بقدر ما أظهره لنا، ووُجد ظاهراً في النساء؛ نادراً أو معتاداً؛ ولماً وَجَدْنَا امرأةً قد حملت أربع سنين وخمسة سنين حَكَمْنَا بذلك، والنفاسُ والحِضُّ لَمَّا لم نجد فيه أمراً مُستقراً رجعنا فيه إلى ما يوجد في النادر منهم.

السابعة: قال ابن العربي^(١): نقل بعض المتساهلين من^(٢) المالكيين أن أكثر الحمل تسعة أشهر! وهذا ما لم ينطق به قط إلا هالكياً، وهم الطَّبَائِعِيُّونَ الذين يزعمون أن مدبر الحمل في الرَّحِمِ الكواكب السبعة؛ تأخذه شهراً شهراً، ويكون الشهر الرابع منها للشمس؛ ولذلك يتحرك ويضطرب، وإذا تكامل التداول في السبعة الأشهر بين الكواكب السبعة عاد في الشهر الثامن إلى زحل، فيبقه^(٣) بيزده، فياليتني تمكنت من مناظرتهم أو مقاتلتهم^(٤)! ما بال المرجع بعد تمام الدور يكون إلى زحل دون غيره؟ آله أخبركم بهذا أم على الله تفترون؟! وإذا جاز أن يعود إلى اثنين منها^(٥)، لم لا يجوز أن يعود التدبير إلى ثلاث أو أربع، أو يعود إلى جميعها مرتين أو ثلاثاً؟! ما هذا التحكُّم بالظنون الباطلة على الأمور الباطنة!

الثامنة: قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ يعني من النقصان والزيادة. ويقال: «بمقدار»: قدر خروج الولد من بطن أمه، وقدر مكثه في بطنها إلى خروجه. وقال قتادة: في الرزق والأجل^(٦). والمقدار: القدر. وعموم الآية يتناول كل ذلك، والله سبحانه أعلم.

(١) في أحكام القرآن ٣/ ١٠٩٧.

(٢) في (د) و(ز) و(ظ): عن، والمثبت من (م)، وهو الموافق لأحكام القرآن.

(٣) في (د) و(ز) و(ظ): فيلقه، والمثبت من (م)، وهو الموافق لأحكام القرآن ومعنى يبقه: يخرج. ينظر اللسان (بقل).

(٤) في (د) و(ز): مقابلتهم، والمثبت من (ظ) و(م)، وهو الموافق لأحكام القرآن.

(٥) في (د) و(ز) و(ظ): إلى شيء منها، والمثبت من (م)، وهو الموافق لأحكام القرآن.

(٦) النكت والعيون ٣/ ٩٧، وأخرجه الطبري ٤٥٢/ ١٣ بنحوه.

التاسعة^(١): هذه الآية تَمَدِّحُ الله سبحانه وتعالى بها بأنه: ﴿عَلَيْكُمْ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ﴾ أي: هو عالمٌ بما غاب عن الخلق، وبما شهدوه. فالغيبُ مصدرٌ بمعنى الغائب. والشهادةُ مصدرٌ بمعنى الشاهد، فنَبَّه سبحانه على انفراده بعلم الغيب، والإحاطة بالباطن الذي يَخْفَى على الخلق، فلا يجوزُ أن يشاركه في ذلك أحدٌ. فأما أهلُ الطبِّ الذين يستدلُّون بالآمارات والعلامات، فإن قطعوا بذلك فهو كفر^(٢)، وإن قالوا: إنها تجربة، تركوا وما هم عليه، ولم يَقْدَحْ ذلك في الممدوح^(٣)؛ فإنَّ العادةَ يجوزُ انكسارُها، والعلمُ لا يجوزُ تَبَدُّله.

و﴿الْكَبِيرُ﴾ الذي كلُّ شيءٍ دونه. ﴿الْمُتَعَالَى﴾ عما يقول المشركون، المستعلي على كلِّ شيءٍ بقدرته وقهره؛ وقد ذكرناهما في شرح الأسماء مستوفى^(٤)، والحمد لله.

قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِالْئِيلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ ﴿١٠﴾

قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ إشارَةُ القول: ما حَدَّثَ به المرءُ نفسه، والجهْرُ ما حَدَّثَ به غيره؛ والمرادُ بذلك أن الله سبحانه يعلم ما أَسَرَّه الإنسان من خيرٍ وشرٍّ، كما يعلم ما جَهَرَ به من خيرٍ وشرٍّ.

و«مِنْكُمْ» يحتمل أن يكونَ وصفاً لـ «سواء»، التقدير: سِرٌّ مَنْ أَسَرَ وَجَهَرُ مَنْ جَهَرَ سواءٌ منكم. ويجوزُ أن يتعلق بـ «سواء» على معنى: يستوي منكم، كقولك: مررتُ بزيد. ويجوزُ أن يكونَ على تقدير: سِرٌّ مَنْ أَسَرَ منكم وَجَهَرُ مَنْ جَهَرَ منكم.

(١) في (د) و(م): قلت، والمثبت من (ز) و(ظ).

(٢) وقعت العبارة في أحكام القرآن لابن العربي ١٠٩٦/٣ (والكلام منه): وأهل الطب يقولون: إذا ظهر النفخ في ثدي الحامل الأيمن فالحمل ذكر، وإن ظهر في الثدي الأيسر فالحمل أنثى، وإذا كان الثقل للمرأة في الجانب الأيمن فالحمل ذكر، وإن وجدت الثقل في الجانب الأيسر فالولد أنثى، فإن قطعوا بذلك فهو كفر. وينظر ما سلف ٤٠٣/٨.

(٣) في أحكام القرآن: التمدح.

(٤) الأسنى ص ٢٠٨ و ٢١٠ وما بعدها.

ويجوزُ أَنْ يَكُونَ التقدير: ذو سواءٍ منكم مَنْ أَسْرَّ القولَ وَمَنْ جَهَرَ به، كما تقول: عدلُ زيدٌ وعمرو، أي: ذوَا عدلٍ. وقيل: «سواء»، أي: مُستَوٍ، فلا يحتاج إلى تقدير حذفٍ مضاف^(١).

﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ أي: يستوي في علم الله السرُّ والجهر، والظاهرُ في الطُّرقاتِ والمُستخفي في الظُّلُمات^(٢).

وقال الأخفش وقُطْرُب^(٣): المستخفي بالليل: الظاهرُ؛ ومنه خَفِيتُ الشيءَ وأخْفَيْتُهُ، أي: أظهرتُهُ، واختفيت^(٤) الشيءَ، أي: استخرجتُهُ، ومنه قيل لِلنَّبَّاشِ: المخفي^(٥). وقال امرؤ القيس:

خَفَاهُنَّ مِنْ أَنْفَاقِهِنَّ كَأَنَّمَا خَفَاهُنَّ وَذُقَّ مِنْ عَشْيٍ مُجَلَّبٍ^(٦)

والسَّارِبُ: المتواري، أي: الداخِلُ سَرَبًا؛ ومنه قولُهُم: انْسَرَبَ الوحشُ: إذا دخل في كِنَاسِهِ^(٧). وقال ابن عباس: «مُسْتَخْفٍ»: مستتر، «وَسَارِبٌ»: ظاهر^(٨).

(١) ينظر معاني القرآن للزجاج ١٤١/٣، وإعراب القرآن للنحاس ٣٥٣/٢، ومشكل إعراب القرآن ٣٩٧/١ والإملاء (على هامش الفتوحات الإلهية) ٣٧٣/٣.

(٢) معاني القرآن للزجاج ١٤٢/٣.

(٣) قول الأخفش في معاني القرآن له ٥٩٥/٢، وقول قطرب ذكره الزجاج في معاني القرآن ١٤٢/٣، وأبو الطيب اللغوي في الأضداد ٢٤٧/١، وذكر هذا القول عنهما الرازي ١٧/١٩ - ١٨.

(٤) في (د) و(ز) و(م): أخفيت، والمثبت من (ظ)، وهو الموافق لما في تفسير الرازي ١٧/١٩، واللسان (خفي)، ومثلها: استخفيت، ذكرها الجوهري في الصحاح (خفي). وينظر الأضداد لأبي الطيب ٢٤٧/١، وتهذيب اللغة ٥٩٧/٧.

(٥) الأضداد لابن الأنباري ص ٧٦، والصحاح (خفي).

(٦) ديوان امرئ القيس ص ٥١. وجاء في شرحه للأصمعي: الوَذَقُ: المطر، وَخَصَّ مطر العَشْيِ لأنه أغزر. والمَجَلَّبُ: الذي تُسَمَّعُ له جَلْبَةٌ لشدَّةِ وَقْعِهِ، أي: وَذُقَّ من عَشْيٍ فيه جلبَةٌ للمطر. والمعنى: أن الفرس لشدَّةِ جَرْيِهِ أخرج الفُثْرَةَ من حِجْرَتِهِنَّ ظَنَنَّهُ مطراً، فخشينَ أن يُسِيلَ الأرضَ فيغرقهن.

(٧) في (م): الوحشي، ومثله في معاني القرآن للزجاج ١٤٢/٣، والصحاح (سرب)، والمثبت موافق لما في معاني القرآن للنحاس ٤٧٦/٣، وتهذيب اللغة ٤١٤/١٢، وتفسير الرازي ١٧/١٩. والكِناس: هو مستتر الظبي في الشجر. القاموس (كنس).

(٨) أخرجه الطبري ٤٥٣/١٣ - ٤٥٤.

مجاهد: مُسْتَخْفٍ [بالليل، أي: مستتر] بالمعاصي، «وَسَارِبٌ»: ظاهر^(١).

وقيل: معنى «سَارِبٌ»: ذاهبٌ؛ قال الكسائي: سَرَبَ يَسْرُبُ سَرَبًا وَسُرُوبًا: إذا ذهب^(٢)؛ وقال الشاعر:

وَكُلُّ أَنَاسٍ قَارِبُوا قَيْدَ فَخْلِهِمْ وَنَحْنُ خَلَعْنَا قَيْدَهُ فَهُوَ سَارِبٌ^(٣)

أي: ذاهبٌ. وقال أبو رجاء: السَّارِبُ: الدَّاهِبُ على وجهه في الأرض^(٤)؛ قال الشاعر:

أَنْتَى سَرَنْتِ وَكُنْتَ غَيْرَ سُرُوبٍ^(٥)

وقال القُتَيْبِيُّ: «سَارِبٌ بِالنَّهَارِ»، أي: متصرف^(٦) في حوائجه بسرعة، من قولهم: انْسَرَبَ الماء. وحكى الأصمعي: خَلَّ سَرِيهَ، أي: طريقه^(٧).

قوله تعالى: ﴿لَمْ مُعَقِّبَتْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿لَمْ مُعَقِّبَتْ﴾، أي: لله ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار؛ فإذا

(١) معاني القرآن للنحاس ٤٧٦/٣، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٢) معاني القرآن للنحاس ٤٧٧/٣.

(٣) قائله الأخنس بن شهاب التغلبي، كما في إصلاح المنطق ص ٢٢٥، وشرح أبيات إصلاح المنطق للسيرافي ص ٣٧٨، والصحاح (سرب)، وشرح اختيارات المفضل للتبريزي ٩٣٨/٢. قال السيرافي: يعني بالفحل هنا السيد، يقول: كل أناس غيرنا لم يتركوا رئيسهم وسيدهم أن يفارقهم ويبعد عنهم خشيةً عليه من القتل، ونحن لعزنا لا يجترئ أحد على سيدنا وإن كان وحده بعيداً عنا.

(٤) أخرجه الطبري ٤٥٤/١٣.

(٥) وعجزه: وتقربُ الأحلام غير قريب، والبيت لقيس بن الخطيم كما في تفسير الطبري ٤٥٣/١٣، والأضداد لابن الأنباري ص ٧٧، وبلا نسبة في الصحاح (سرب)، وسلف ١٠١/١.

(٦) في (د) و(م): منصرف، والمثبت من (ز) و(ظ) وتفسير الغريب لابن قتيبة ص ٢٢٤.

(٧) ذكره النحاس في معاني القرآن ٤٧٧/٣.

صعدت ملائكة الليل أعقبها ملائكة النهار.

وقال: «مُعَقَّبَاتٌ» والملائكة دُكران؛ لأنه جمع مُعَقِّبة؛ يقال: مَلَكٌ مُعَقِّبٌ، وملائكة مُعَقِّبة، ثم مُعَقَّبَاتٌ جمع الجمع^(١).

وقرأ بعضهم: «لَهُ مَعَاقِبُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ». ومعاقِبُ جمع مُعَقِّبٍ^(٢)؛ وقيل: للملائكة: معقِّبة؛ على لفظ الملائكة. وقيل: أنثى لكثرة ذلك منهم؛ نحو نَسَابَةٍ وعلامة وراوية؛ قاله الجوهري وغيره^(٣).

والتعقيب^(٤): العودُ بعد البدء؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَنْ تَذَرُنَّ وَلَا يَرْجِعُنَّ﴾ [النمل: ١٠]، أي: لم يرجع، وفي الحديث: «مُعَقَّبَاتٌ لَا يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ - أو: فاعلهن -» فذكر التسييح والتحميد والتكبير^(٥)؛ قال أبو الهيثم^(٦): سُمِّنَ «مُعَقَّبَاتٌ»؛ لأنها عادت مرةً بعد مرةً، وكلُّ^(٧) مَنْ عَمِلَ عَمَلًا ثُمَّ عادَ إِلَيْهِ فَقَدْ عَقَّبَ.

والمُعَقَّبَاتُ مِنَ الْإِبِلِ: اللواتي يَقُمْنَ عند أعجازِ الإبلِ الْمُعْتَرِكَاتِ على الحوض، فإذا انصرفت ناقةٌ دخلت مكانها أخرى^(٨).

وقوله: ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾، أي: المستخفي بالليل والسارِبُ بالنهار ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ اختلف في هذا الحفظ؛ ف قيل: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ توكيلاً للملائكة بهم

(١) معاني القرآن للفراء ٦٠/٢ ، وتفسير الطبري ٤٥٦/١٣ .

(٢) معاني القرآن للنحاس ٤٨٠/٣ ، وهي في القراءات الشاذة ص ٦٦ عن زياد بن أبي سفيان، وفي المحتسب ٣٥٥/١ عن عبيد الله بن زياد. قال ابن جني: ينبغي أن يكون هذا تكسير معقِبٍ أو معقبة، إلا أنه لما حذف إحدى القافين عوض منها الياء.

(٣) الصحاح (عقب)، ومعاني القرآن للأخفش ٥٩٦/٢ .

(٤) في النسخ: والتعقب، والمثبت من تفسير الطبري ٤٧٣/١٣ ، والكلام منه، وتفسير البغوي ٩/٣ .

(٥) أخرجه مسلم (٥٩٦) من حديث كعب بن عُجرة .

(٦) هو الرازي، مشهور بكنته، وسلفت ترجمته ١٣٦/٥ ، وكلامه في تهذيب اللغة ٢٧٢/١ - ٢٧٣ .

(٧) في (د) و(ز) و(م): فعل.

(٨) الصحاح (عقب).

لِحِفْظِهِمْ مِنَ الْوَحُوشِ وَالْهَوَامِّ وَالْأَشْيَاءِ الْمُضَرَّةِ، لطفاً منه به، فإذا جاء الْقَدَرُ خَلُّوا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ. قاله ابن عباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما^(١)؛ قال أبو مجلّز: جاء رجلٌ من مُرَادٍ إلى عليّ فقال: احترس؛ فَإِنَّ نَاساً مِنْ مُرَادٍ يريدون قتلك، فقال: إِنَّ مَعَ كُلِّ رَجُلٍ مَلَكَينِ يَحْفَظَانِهِ مِمَّا لَمْ^(٢) يُقَدَّرْ، فإذا جاء الْقَدَرُ خَلَّيَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَدَرِ اللَّهِ، وَإِنَّ الْأَجَلَ حِصْنٌ حَصِينَةٌ. وعلى هذا: «يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ» أي: بأمر الله ويأذنه، فـ «مِنْ» بمعنى الباء؛ وحروفُ الصِّفَاتِ يقوم بعضها مقامَ بعض^(٣).

وقيل: «مِنْ» بمعنى «عن»، أي: يحفظونه عن أمر الله. وهذا قريبٌ من الأول؛ أي: حِفْظُهُمْ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ لَا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ. وهذا قولُ الحسن^(٤)؛ تقول: كسوته عن عُزِّيٍّ وَمِنْ عُزِّيٍّ، ومنه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ [قريش: ٤]، أي: عن جوع^(٥).

وقيل: يحفظونه من ملائكة العذابِ حتى لَا تَحِلَّ بِهِ عِقَابُهُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ مِنَ النِّعْمَةِ وَالْعَاقِبَةِ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ بِالْإِصْرَارِ عَلَى الْكُفْرِ، فإذا أَصْرُوا حَانَ الْأَجَلُ الْمَضْرُوبُ، ونزلت بهم النِّقْمَةُ، وتزول عنهم الْحَفَظَةُ الْمَعْقِبَاتُ.

وقيل: يحفظونه مِنَ الْجِنِّ؛ قال كعب: لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ وَكَّلَ بِكُمْ مَلَائِكَةً يَذُبُّونَ عَنْكُمْ فِي مَطْعَمِكُمْ وَمَشْرَبِكُمْ وَعَوْرَاتِكُمْ لَتَحَطَّطْتُكُمْ [الجن: ٦] فإذا^(٧) الْجِنُّ وَمَلَائِكَةُ

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٣٣٢/١، والطبري ٤٥٨/١٣ عن ابن عباس.

(٢) في (د) و(ز) و(م): ما لم، والمثبت من (ظ) وتفسير الطبري ٤٦٦/١٣ وفيه تخريج الخبر.

(٣) زاد المسير ٣١١/٤، وذكر هذا القول أبو عبيدة في مجاز القرآن ٣٢٤/١، والبغوي ٩/٣، وأخرجه عبد الرزاق ٣٣٢/١، والطبري ٤٦٤/١٣ عن قتادة. وقاله مجاهد أيضاً كما في تفسيره ٣٢٦/١.

(٤) معاني القرآن للنحاس ٤٨٠/٣، وذكر الطبري ٤٧٤/١٣ هذا القول عن بعض نحويي البصرة، وينظر معاني القرآن للزجاج ١٤٢/٣.

(٥) تفسير الطبري ٤٧٤/١٣.

(٦) تفسير البغوي ٩/٣، وما بين حاصرتين منه، وأخرجه الطبري ٤٦٦/٣.

(٧) قوله: فإذا ليس في (م).

العذاب من أمر الله، وخصَّهم بأن قال: «مِنْ أَمْرِ اللَّهِ»؛ لأنهم غير مُعَايَنِينَ، كما قال: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]، أي: ليس مما تشاهدونه أنتم.

وقال الفراء^(١): في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: له معقبات من أمر الله من بين يديه ومن خلفه يحفظونه. وهو مروى عن مجاهد وابن جبير والنخعي^(٢). وعلى أن ملائكة العذاب والجن من أمر الله لا تقديم فيه ولا تأخير.

وقال ابن جريج: إنَّ المعنى: يحفظون عليه عمله^(٣)، فحذف المضاف. وقال قتادة: يكتبون أقواله وأفعاله.

ويجوز إذا كانت المعقبات الملائكة أن تكون الهاء في «له» لله عزَّ وجلَّ، كما ذكرنا. ويجوز أن تكون للمستخفي، فهذا قول.

وقيل: ﴿لَمْ مَعَقَبْتُمْ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ يعني به النبي ﷺ^(٤)؛ أي: إنَّ الملائكة تحفظه من أعدائه، وقد جرى ذكر الرسول في قوله: ﴿لَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾، أي: سواء منكم من أسرَّ القول ومن جهر به في أنه لا يضرُّ النبي ﷺ، بل له معقبات يحفظونه عليه الصلاة والسلام. ويجوز أن يرجع هذا إلى جميع الرسل؛ لأنه قد قال: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ أي: يحفظون الهادي من بين يديه ومن خلفه.

وقول رابع: أنَّ المراد بالآية: السلاطين والأمراء الذين لهم قوم من بين أيديهم ومن خلفهم يحفظونهم؛ فإذا جاء أمر الله لم يُغْتَنوا عنهم من الله شيئاً؛ قاله ابن عباس

(١) في معاني القرآن ٦٠/٢ .

(٢) في (د) و(ز) و(م): وابن جريج والنخعي، والمثبت من (ظ)، ينظر تخريج قولهم في تفسير الطبري ٤٦٣/١٣ .

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣١٢/٤ بلفظ: يحفظون عليه الحسنات والسيئات، وأخرجه بنحوه الطبري ٤٥٩/٣ - ٤٦٠ و ٤٦٧، وينظر المحرر الوجيز ٣٠٢/٣ .

(٤) ذكره الطبري ٤٧٠/١٣، وابن عطية ٣٠١/٣ عن عبد الرحمن بن زيد، ونسبه ابن الجوزي ٣١٠/٤ لابن عباس رضي الله عنهما.

وعِكرمة. وكذلك قال الضحاك: هو السلطان المتحرّس من أمر الله، المشرك^(١). وقد قيل: إنّ في الكلام على هذا التأويل نفيّاً محذوفاً تقديره: لا يحفظونه من أمر الله تعالى؛ ذكره الماوردي^(٢).

قال المهدوي^(٣): وَمَنْ جَعَلَ الْمُعَقَّبَاتِ الْحَرَسَ؛ فالمعنى: يحفظونه من أمر الله على ظنّه وزغمه.

وقيل: سواءً مَنْ أَسْرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ، فله حِرَّاسٌ وأَعْوَانٌ يتعاقبون عليه فيحملونه على المعاصي، ويحفظونه من أَنْ يَنْجَعَ فِيهِ وَعِظٌ؛ قال القشيري^(٤): وهذا لا يمنع الربّ من الإمهال إلى أَنْ يَحَقِّقَ الْعَذَابَ؛ وهو إِذَا غَيَّرَ هَذَا الْعَاصِي مَا بِنَفْسِهِ بِطُولِ الْإِصْرَارِ، فيصير ذلك سبباً للعقوبة؛ فكأنّه الذي يُحِلُّ الْعُقُوبَةَ بِنَفْسِهِ، فقوله: «يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ»، أي: من امثال أمر الله.

وقال عبد الرحمن بن زيد: الْمُعَقَّبَاتُ: ما يتعاقب من أمر الله تعالى وقضائه في عبادته؛ قال الماوردي^(٥): وَمَنْ قَالَ بِهَذَا الْقَوْلَ؛ ففي تأويل قوله: «يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ» وجهان:

أحدهما: يحفظونه من الموت ما لم يأت أجل؛ قاله الضحاك.

الثاني: يحفظونه من الجنّ والهوامّ المؤذية، ما لم يأت قَدَرٌ. قاله أبو أمامة وكعب الأحبار^(٦). فإذا جاء المقدورُ خَلُّوا عَنْهُ.

والصحيحُ أَنَّ الْمُعَقَّبَاتِ الْمَلَائِكَةُ، وبه قال الحسن ومجاهد وقتادة وابن جريج؛ وروى عن ابن عباس، واختاره النحاس^(٧)، واحتجّ بقول النبي ﷺ: «يتعاقبون فيكم

(١) أخرج قولهم الطبري ٣/٤٦٠ - ٤٦١.

(٢) في النكت والعيون ٣/٩٨.

(٣) في النكت والعيون ٣/٩٨، وما قبله منه.

(٤) خبر أبي أمامة أخرجه الطبري بنحوه ١٣/٤٦٦، وخبر كعب سلف قريباً.

(٥) في معاني القرآن ٣/٤٧٩، وأخرج قول الأئمة المذكورين الطبري ١٣/٤٥٦ - ٤٦٠ و ٤٦٣ - ٤٦٤.

ملائكة بالليل وملائكة بالنهار» الحديث، رواه الأئمة^(١).

وَرَوَى ابْنُ عَيْنَةَ^(٢) عَنْ عمرو، عن ابن عباس أنه قرأ: «له معقبات من بين يديه ورقباء من خلفه من أمر الله يحفظونه». فهذا قد بيّن المعنى^(٣).

وقال كِنَانَةُ الْعَدَوِيِّ^(٤): دخل عثمان رضي الله تعالى عنه على النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! أخبرني عن العبد، كم معه من مَلَك؟ قال: «مَلَكٌ عن يمينك يكتب الحسنات، وآخر عن الشمال يكتب السيئات، والذي على اليمين أمير^(٥) على الذي على الشمال، فإذا عُملَتْ حسنةٌ كُتِبَتْ عشراً، وإذا عُملَتْ سيئة، قال الذي على الشمال للذي على اليمين: أأكتب؟ قال: لا، لعله يستغفرُ الله تعالى أو يتوب^(٦). فإذا قال ثلاثاً، قال: نعم، اكتب أراحنا الله تعالى منه، فبئس القرين هو، ما أقلُّ مراقبته لله عزَّ وجلَّ وأقلُّ استحياءه منَّا، يقول الله تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]. ومَلَكَانِ من بين يديك ومن خَلْفِكَ يقولُ الله تعالى: ﴿لَهُمْ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾. [ومَلَكٌ قابضٌ على ناصيتك، فإذا تواضعت لله رفعك، وإذا تَجَبَّرْتَ على الله قَصَمَكَ]. ومَلَكَانِ على شَفَتَيْكَ، وليس يحفظان عليك إلا الصَّلَاةَ على محمد وآله. ومَلَكٌ قائمٌ على فيك لا يدعُ أنْ تدخلَ الحيةَ في فيك، ومَلَكَانِ على عينيك. فهؤلاء عشرةٌ أملاكٍ على كلِّ آدمي يتداولون^(٧)؛

(١) قطعة من حديث أبي هريرة ؓ أخرجه أحمد (٧٤٩١)، والبخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢)، وسلف ١٧٩/٤.

(٢) في (د) و(ز) و(م): وروى الأئمة، والمثبت من (ظ) ومعاني القرآن للنحاس ٤٨٠/٣.

(٣) معاني القرآن للنحاس ٤٨٠/٣. وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (١١٥٩ - تفسير) عن سفيان بالإسناد المذكور، ولفظه: «له معقبات من بين يديه ورقباء من خلفه يحفظونه من أمر الله».

(٤) ابن نعيم، أبو بكر البصري، تابعي ثقة روى له مسلم. التهذيب ٤٧٦/٣. والخبر أخرجه الطبري ٤٥٧/١٣. وذكره ابن كثير عند تفسير هذه الآية، وما سيأتي بين حاصرتين منهما.

(٥) في (د) و(ز): أمين، وهي كذلك في مطبوع تفسير الطبري، وفي تفسير ابن كثير: آمر.

(٦) في (م): أو يتوب إليه، وفي تفسير الطبري وتفسير ابن كثير: ويتوب.

(٧) في تفسير الطبري وتفسير ابن كثير: ينزلون.

ملائكة الليل على ملائكة النهار؛ لأن ملائكة الليل ليسوا بملائكة النهار، فهؤلاء عشرون ملكاً على كل آدمي، وإبليس مع ابن آدم بالنهار، وولده بالليل^(١). ذكره الثعلبي.

قال الحسن: المعقبات أربعة أملاك [اثنان بالنهار واثنان بالليل] يجتمعون عند صلاة الفجر^(٢).

واختيار الطبري^(٣): أن المعقبات المواكب بين أيدي الأمراء وخلفهم، والهاء في «له» لـ «من»^(٤)، على ما تقدم^(٥).

وقال العلماء رضوان الله عليهم: إن الله سبحانه جعل أوامره على وجهين؛ أحدهما قضي حلوه ووقوعه بصاحبه، فذلك لا يدفعه أحد ولا يغيره. والآخر قضي مجيئه، ولم يقض حلوه ووقوعه، بل قضي صرفه بالتوبة والدعاء والصدقة والحفظ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ أخبر الله تعالى في هذه الآية أنه لا يغير ما بقوم حتى يغير ما بأنفسهم^(٦)؛ إما منهم، أو من الناظر لهم، أو ممن هو منهم بسبب؛ كما غير الله بالمنهزمين يوم أُحُد بسبب تغيير الرماة [ما] بأنفسهم، إلى غير هذا من أمثلة الشريعة. فليس معنى الآية أنه ليس ينزل بأحد عقوبة إلا بأن يتقدم منه ذنب، بل قد تنزل المصائب بذنوب الغير، كما قال ﷺ وقد سُئل: أنهلك

(١) قال ابن كثير: حديث غريب جداً. قلنا: وفي إسناده إبراهيم بن عبد السلام بن صالح وعلي بن جرير، ولم نقف لهما على ترجمة.

(٢) النكت والعيون ٩٨/٣، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٣) في تفسيره ٤٦١/١٣ - ٤٦٢.

(٤) يعني في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ﴾ وهذا هو اختيار الطبري في تفسيره، ووقع في النسخ: لهن، بدل: لمن. والصواب ما أثبتناه.

(٥) ص ٢٩ من هذا الجزء.

(٦) قبلها في النسخ: منهم، والمثبت من المحرر الوجيز ٣/٣٠٢، والكلام وما سيأتي بين حاصرتين منه.

وفينا الصّالحون؟ قال: «نعم، إذا كَثُرَ الْخَبَثُ»^(١). والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقْوَمُ سُوءًا﴾، أي: هلاكاً وعذاباً ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾.

وقيل: إذا أراد بهم بلاء من أمراضٍ وأسقام، فلا مَرَدَّ لبلائه^(٢).

وقيل: إذا أراد الله بقوم سوءاً أعمى أبصارهم حتى يختاروا ما فيه البلاء ويعملوه، فيمشون إلى هلاكهم بأقدامهم، حتى يبعث أحدهم عن حتفه بكفه، ويسعى بقدمه إلى إراقة دمه.

﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ أي: من ملجأ؛ وهو معنى قول السُّدِّي. وقيل: من ناصرٍ يمنعهم من عذابه؛ وقال الشاعر:

ما في السماء سوى الرحمن من والٍ^(٣)

ووالٍ ووليّ كقادر وقدير.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْآزِفَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ۝ وَيَسْجِجُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْآزِفَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾، أي: بالمطر. «السَّحَاب» جمع، والواحدة سَحَابَة، وسُحُبٌ وسَحَابٌ في الجمع أيضاً^(٤).

﴿وَيَسْجِجُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾ قد مضى في «البقرة»^(٥) القول في الرعد والبرق والصواعق، فلا معنى للإعادة.

(١) قطعة من حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها، وقد سلف ١٤٦/٩.

(٢) النكت والعيون ٩٩/٣.

(٣) ذكره مع ما قبله الماوردي في النكت والعيون ١٠٠/٣.

(٤) الصحاح (سحب).

(٥) ٣٢٧/١ وما بعدها.

والمراد بالآية بيان كمال قدرته، وأن تأخير العقوبة ليس عن عجز، أي: يريكم البرق في السماء خوفاً للمسافر؛ فإنه يخاف أذاه لما يناله من المطر والهول والصواعق؛ قال الله تعالى: ﴿أَذَىٰ مِّنْ مَّطَرٍ﴾ [النساء: ١٠٢]. وطمعاً للحاضر أن يكون عقيه مطراً وخضب؛ قال معناه قتادة ومجاهد وغيرهما^(١).

وقال الحسن: خوفاً من صواعق البرق، وطمعاً في غيثه المزيل للقط^(٢).

﴿وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ قال مجاهد: أي: [الثقال] بالماء^(٣). ﴿وَيَسْجِجُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ من قال: إن الرعد صوت السحاب، فيجوز أن يسبح الرعد بتقدير^(٤) خلق الحياة فيه، ودليل صحة هذا القول قوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ فلو كان الرعد ملكاً لدخل في جملة الملائكة.

ومن قال: إنه ملك قال: معنى «مِنْ خِيفَتِهِ»: من خيفة الله؛ قاله الطبري^(٥) وغيره. قال ابن عباس: إن الملائكة خائفون من الله ليس كخوف ابن آدم، لا يعرف أحدهم من على يمينه ومن على يساره، لا يشغلهم عن عبادة الله طعام ولا شراب^(٦). وعنه قال: الرعد ملك يسوق السحاب، وإن بحار^(٧) الماء لفي نفرة إبهامه، وإنه موكل بالسحاب يصرفه حيث يؤمر، وإنه يسبح الله؛ فإذا سبج الرعد لم يبق ملك في

(١) أخرجه عن قتادة عبد الرزاق في التفسير ٣٣٣/١، والطبري ٤٧٥/١٣، وذكره النحاس في معاني القرآن ٤٨١/٣ عن قتادة ومجاهد والحسن.

(٢) النكت والعيون ١٠٠/٣.

(٣) النكت والعيون ١٠٠/٣، وما بين حاصرتين منه، وأخرجه الطبري ٤٧٦/١٣، وهو في تفسير مجاهد ٣٢٦/١.

(٤) في (د) و(ز) و(م): بدليل، والمثبت من (ظ).

(٥) في تفسيره ٤٧٨/١٣.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط ١٠/٣.

(٧) في (م): بخار.

السَّمَاءِ إِلَّا رَفَعَ صَوْتَهُ بِالتَّسْبِيحِ، فَعِنْدَهَا يَنْزِلُ الْقَطَرُ^(١).

وعنه أيضاً: كان إذا سمع صوت الرعد قال: سبحان الذي سَبَّحْتَ له^(٢).

وروى مالك، عن عامر بن عبد الله، عن أبيه: أنه كان إذا سمع صوت الرعد [لَهِىَ من حديثه و] قال: سبحان الذي يَسْبُحُ الرعد بحمده والملائكة من خيفته، ثم يقول: إنَّ هذا وعيدٌ لأهل الأرض شديد^(٣).

وقيل: إنه مَلَكٌ جالسٌ على كرسيٍّ بين السماء والأرض، وعن يمينه سبعون ألف مَلَك، وعن يساره مثلُ ذلك، فإذا أقبل على يمينه وسَّجَّ؛ سَبَّحَ الجميعُ من خوف الله، وإذا أقبل على يساره وسَّجَّ؛ سَبَّحَ الجميعُ من خوف الله.

﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ ذكر الماوردي عن ابن عباس وعلي بن أبي طالب ومجاهد: نزلت في يهودي قال للنبي ﷺ: أخبرني! مِن أَيِّ شَيْءٍ رُبُّكَ؟ أمِن لَوْلَا أم من ياقوت؟ فجاءت صاعقة، فأحرقتة^(٤).

وقيل: نزلت في بعض كفار العرب؛ قال الحسن: كان رجلٌ من طواغيت العرب، بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِ نَفَرًا يَدْعُونَهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْإِسْلَامِ، فَقَالَ لَهُمْ: أَخْبِرُونِي عَنْ رَبِّ مُحَمَّدٍ مَا هُوَ، وَمِمَّ هُوَ، أَمِنَ ذَهَبٌ أَمْ مِنْ فِضَّةٍ^(٥) أَمْ مِنْ حَدِيدٍ أَمْ نَحَاسٍ؟ فَاسْتَعْظَمَ الْقَوْمُ مَقَالَتَهُ، فَقَالَ: أَجِيبُ مُحَمَّدًا إِلَى رَبِّ لَا أَعْرِفُهُ! فَبَعَثَ

(١) ذكره البغوي ١١/٣، من طريق جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس. وينظر تفسير الطبري ٣٥٧/١ - ٣٥٩.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧٢٢)، والطبري ٤٧٧/١٣.

(٣) معاني القرآن للنحاس ٤٨٣/٣، وما سلف بين حاصرتين منه. ومن طريق مالك أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧٢٣). ووقع في الموطأ ٩٩٢/٢: مالك، عن عامر بن عبد الله بن الزبير أنه كان إذا سمع...، قال ابن عبد البر في الاستذكار ٣٨٠/٢٧: هكذا رواه يحيى، لم يجاوز به عامراً، ورواه غيره من رواة الموطأ فقالوا فيه: مالك، عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه.

(٤) النكت والعيون ١٠١/٣، وأخرجه عن علي عليه السلام ومجاهد الطبري ٤٧٩/١٣ - ٤٨٠.

(٥) في (د) و(ز) و(م): ومم هو أمن فضة، والمثبت من (ظ) والمصادر على ما يأتي.

النبي ﷺ إليه مراراً وهو يقول مثلَ هذا، فبينما النَّفَرُ يَنَازِعُونَهُ ويدعونَهُ إِذْ ارتفعت سحابةٌ فكانت فوقَ رؤوسهم، فرعدت وأبرقت ورمث بصاعقة، فأحرقَت الكافرَ وهم جلوس، فرجعوا إلى النبي ﷺ، فاستقبلهم بعضُ أصحابِ رسولِ الله ﷺ فقالوا: احترق صاحبُكم، فقالوا: مِن أين علمتم؟ قالوا: أوحى الله إلى النبي ﷺ: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ﴾. ذكره الثعلبيُّ عن الحسن^(١)، والقشيريُّ بمعناه عن أنس، وسيأتي^(٢).

وقيل: نزلت الآية في أربد بن ربيعة أخِي لَبِيد بن ربيعة، وفي عامر بن الطفيل؛ قال ابن عباس: أقبل عامر بنُ الطفيل وأزبد بنُ ربيعة العامريَّان يريدان النبي ﷺ وهو في المسجد جالسٌ في نفر من أصحابه، فدخلا المسجد، فاستشرف الناس لجمال عامرٍ وكان أعورَ، وكان من أجمل الناس، فقال رجلٌ من أصحاب النبي ﷺ: هذا يا رسولَ الله عامر بنُ الطفيل قد أقبل نحوكَ، فقال: «دَعُهُ فَإِنْ يُرِدَ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يَهْدِهِ» فأقبل حتى قام عليه فقال: يا محمد ما لي إن أسلمت؟ فقال: «لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين» قال: أتجعلُ لي الأمرَ من بعدك؟ قال: «ليس ذاك إليّ، إنما ذلك إلى الله يجعلُهُ حيثُ يشاء». قال: أفتجعلُنِي على الوَبَرِ وأنت على المَدَرِ؟ قال: «لا». قال: فما تجعلُ لي؟ قال: «أجعلُ لك أعِنَّة الخيلِ تغزو عليها في سبيلِ الله». قال: أو ليس لي أعِنَّة الخيلِ اليوم؟ قم معي أَكَلِمَكَ. فقام معه رسول الله ﷺ، وكان عامرٌ أوماً إلى أَرْبَد: إِذَا رأيتني أَكَلِمَهُ فُدِّرْ من خلفه واضربْهُ بالسيف؛ فجعل يخاصم النبي ﷺ ويراجعه، فاخترط أَرْبَد من سيفه شبراً، ثم حبسه الله؛ فلم يقدرْ على سَلِّهِ، وَبَسَّتْ يَدُهُ على سيفه، وأرسل الله عليه صاعقةً في يوم صائفٍ صاح فأحرقته، ووَلَّى عامرٌ هارباً وقال: يا محمد! دعوت رَبِّكَ على أربَد حتى قتلته^(٣)، والله

(١) وذكره عن الحسن أيضاً البغوي ١١/٣.

(٢) ص ٣٩ من هذا الجزء.

(٣) في (ظ): حتى قتله الله.

لأملأنها عليك خيلاً جُرْداً، وفتياناً مُرْداً، فقال عليه الصلاة والسلام: «يمنئك الله من ذلك وأبناء قَيْلَةٍ»^(١) يعني الأوسَ والخزرجَ؛ فنزل عامرُ بيت امرأة سَلُولِيَّة، وأصبح وهو يقول: والله لئن أَضْحَرَ^(٢) لي محمدٌ وصاحبُه - يريد مَلِك الموت - لَأَنْفِذَنَّهُما^(٣) برمحي. فأرسل الله مَلَكاً فلطمه بجناحه فأذراه في التراب؛ وخرجت على ركبته غُدَّةٌ عظيمةٌ في الوقت، فعاد إلى بيت السَّلُولِيَّة وهو يقول: غُدَّةٌ كغدة البعير، وموتٌ في بيت سَلُولِيَّة! ثم ركب على فرسه، فمات على ظهره^(٤). ورثى لبيد بن ربيعة أخاه أَرْبَد فقال:

يا عينُ هَلَّا بَكَّيْتَ أَرْبَدَ إِذْ قُمْنَا وَقَامَ الْخُصُومُ فِي كَبَدٍ
أَخْشَى عَلَى أَرْبَدِ الْحُثُوفِ وَلَا أَزْهَبُ نَوْءَ السُّمَّاكِ وَالْأَسَدِ
فَجَعَنِي الرَّغْدُ وَالصَّوَاعِقُ بِالْ فَارِسِ يَوْمَ الْكَرِيهَةِ النَّجْدِ^(٥)
وفيه قال:

إِنَّ الرِّزْيَةَ لَا رِزْيَةَ مِثْلَهَا فَقَدَانُ كُلِّ أَخٍ كضوءِ الْكَوْكَبِ
يَا أَرْبَدَ الْخَيْرِ الْكَرِيمِ جُدُودُهُ أَفَرَدْتَنِي أَمْشِي بِقَرْنٍ أَغْضَبِ^(٦)

(١) في تفسير البغوي ١٠/٣ (والكلام منه): وابنا قيلة وكذلك وقع في بعض المصادر التي ذكرت الخبر مثل الكامل للمبرد ٣/١٣٩٣، ومجمع الأمثال للميداني ٥٧/٢، وينظر ما سلف ٦٨/١٠.

(٢) أي: خرج إلى الصحراء. الصحاح (صحر).

(٣) في النسخ عدا (ظ): لأنفذتهما، وكذلك هو في مطبوع تفسير البغوي، والمثبت من (ظ) ومجمع الأمثال.

(٤) ذكره البغوي ٩/٣ - ١٠ من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، وأخرجه الطبري ١٣/٤٦٧-٤٧٠ عن ابن زيد مطولاً، وأخرجه بنحوه ١٣/٤٨١ - ٤٨٢ عن ابن جريج.

(٥) الأبيات في شرح ديوان لبيد ص ١٥٨ - ١٦٠، والكامل ٣/١٣٩٤ على اختلاف في الترتيب. قال الطوسي شارح الديوان: قوله: كبد، هو القيام على الأمر الشديد. والتَّجْد: البطل ذو نجدة. وقال في شرح البيت الثاني: كنت أخشى عليه كل سبب من أسباب المنية، ولم أكن أَفَرِّقُ عليه صاعقة. وسلف البيت الأخير ٣٢٨/١.

(٦) شرح ديوان لبيد ص ١٥٤ - ١٥٧، والكامل ٣/١٣٩٤، وقد تقدم فيهما البيت الثاني على الأول. قال الطوسي شارح الديوان: الأعضب: المكسور أحد قرنيته، وهذا مثل، أي: ذهب حَدِّي.

وأسلم ليبد بعد ذلك ﷺ.

مسألة: روى أبان عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تأخذ الصاعقة ذاكراً لله عز وجل»^(١).

وقال أبو هريرة ﷺ: كان النبي ﷺ إذا سمع صوت الرعد يقول: «سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته»^(٢). قال ابن عباس: من سمع صوت الرعد فقال: سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته^(٣) وهو على كل شيء قدير، فإن أصابته صاعقة فعلي دية^(٤).

وذكر الخطيب من حديث سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه، عن جدّه قال: كنا مع عمر في سفر، فأصابنا رعد وبرد، فقال لنا كعب: من قال حين يسمع الرعد: سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ثلاثاً، عوفي مما يكون في ذلك الرعد، ففعلنا فعوفينا، ثم لقيت عمر بن الخطاب ﷺ، فإذا بردة قد أصابت أنفه فأثر به، فقلت: يا أمير المؤمنين، ما هذا؟ قال: بردة أصابت أنفي فأثرت، فقلت: إن كعباً حين سمع الرعد قال لنا: من قال حين يسمع الرعد: سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ثلاثاً عوفي مما يكون في ذلك الرعد، ففعلنا فعوفينا. فقال عمر: أفلا قلتم لنا حتى نقولها؟ وقد تقدّم هذا المعنى في «البقرة»^(٥).

(١) النكت والعيون ١٠١/٣، وأبان هو ابن أبي عياش، قال الحافظ في التقریب: متروك. وأخرجه ابن المبارك في الزهد (١٠٢٣) من طريق معمر عن سمع عطاء يقول، وذكره. وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٦١٨/٨ (١٤٧١٦) عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر.

(٢) أخرج الطبري ٤٧٧/١٣.

(٣) من قوله: قال ابن عباس إلى هذا الموضع من (ظ).

(٤) أخرجه سعيد بن منصور (١١٦٥)، وفي إسناده سأل الطويل، قال أحمد: منكر الحديث. وقال يحيى: ضعيف لا يكتب حديثه. وقال النسائي: متروك. الميزان ١٧٥/٢.

(٥) ٣٢٩/١، وسلف ثم تخريج الخبر.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾ يعني جدال اليهودي حين سأل عن الله تعالى: من أي شيء هو؟ قاله مجاهد. وقال ابن جريج: جدال أربد فيما هم به من قتل النبي ﷺ^(١). ويجوز أن يكون: «وهم يُجَادِلُونَ في الله» حالاً، ويجوز أن يكون منقطعاً.

وروى أنس: أن رسول الله ﷺ بعث إلى عظيم من المشركين يدعوه إلى الله عز وجل، فقال لرسوله^(٢): أخبرني عن إلهك هذا! أهو من ذهب، أم من فضة، أم من نحاس؟ فاستعظم ذلك، فرجع إليه فأعلمه، فقال: «ارجعْ إليه فادعُه». فرجع إليه وقد أصابته صاعقة، وعاد إلى رسول الله ﷺ وقد نزل: ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾^(٣).
 ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ قال ابن الأعرابي: «المِحَال»: المكر، والمكر من الله عز وجل: التدبير بالحق^(٤).

النَّحَّاس^(٥): المكر من الله: إيصالُ المكروه إلى مَنْ يَسْتَحِقُّه من حيث لا يشعر.
 وروى ابن اليزيدي عن أبي زيد: «وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ» أي: النقمة^(٦).
 وقال الأزهري: «المِحَال» أي: القوة والشدة. والمَحَل: الشدة؛ الميم أصلية، وماحَلْتُ فلاناً مِحَالاً، أي: قاوَيْتُهُ حتى يَتَيَّنَ أَيْناً أَشَدُّ^(٧).

(١) أخرج القولين الطبري ١٣/٤٧٩، ٤٨١.

(٢) في (م): لرسول الله.

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (١١١٩٥)، والبخاري (٢٢٢١ - زوائد)، وأبو يعلى (٣٣٤١)، والطبري ١٣/٤٨٠، والعقيلي في الضعفاء ٣/٢٣٢، والواحدي في أسباب النزول ص ٢٧٥.

(٤) ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن ص ٢٨٠.

(٥) في معاني القرآن ٣/٤٨٥.

(٦) ذكره الطبرسي في مجمع البيان ١٣/١٥٧ والرازي ١٩/٢٨ عن الحسن. وابن اليزيدي هو أحمد بن محمد بن يحيى بن المبارك أبو جعفر، كان متقناً في العلوم، راوية للشعر والأخبار، شاعراً، قال ابن عساكر: كان من ندماء المأمون، وقدم معه دمشق، وتوجه منها غازياً للروم. إنباه الرواة ٢/١٢٦.

(٧) ينظر تهذيب اللغة ٥/٩٦، ومعاني القرآن للزجاج ٣/١٤٣.

وقال أبو عبيدة^(١): «المَحَالُ»: العقوبة والمكر^(٢).

قال ابن عَرَفَة: «المَحَالُ»: الجدال؛ يقال: ماحَلَ عن أمره، أي: جادل^(٣).

وقال القُتَيْبِيُّ^(٤): أي: شديد الكيد [والمكر]، وأصله من الحيلة. جَعَلَ ميمَه كميم المكان؛ وأصله من الكون، ثم يقال: تمكَّنت. وقال الأزهري^(٥): غَلِظَ ابْنُ قُتَيْبَةَ أَنَّ الميمَ فيه زائدة، بل هي أصلية، وإذا رأيت الحرفَ على مثالِ فِعالٍ أوْلُهُ ميمٌ مكسورةٌ فهي أصليةٌ، مثل: مِهَادٌ وَمِلاكٌ وَمِرَاسٌ، وغير ذلك من الحروف. ومِفْعَلٌ إذا كان من بنات الثلاثة، فإنه يجيء بإظهار الواو [والياء] مثل: مِرْزُودٌ ومِخْوَلٌ ومِخْوَرٌ [ومِزِيلٌ ومِغِيرٌ]، وغيرها من الحروف.

وقال: وقرأ الأعرج: «وهو شديد المَحَالِ» بفتح الميم^(٦). وجاء تفسيره على هذه القراءة عن ابن عباس أنه الحَوْلُ^(٧).

ذَكَرَ هذا كُلُّهُ أبو عبيد الهَرَوِيُّ^(٨) - إلا ما ذكرناه أوْلاً عن ابن الأعرابي - وأقاولُ الصحابة والتابعين بمعناها، وهي ثمانية: أولها: شديد العداوة؛ قاله ابن عباس. وثانيها: شديد الحَوْلُ؛ قاله ابن عباس أيضاً. وثالثها: شديد الأخذ؛ قاله علي بن أبي طالب. ورابعها: شديد الحقد؛ قاله الحسن^(٩). وخامسها: شديد القوة؛ قاله مجاهد.

(١) في (د) و(م): أبو عبيد، والقول في مجاز القرآن له ٣٢٥/١.

(٢) في النسخ: والمكروه، والمثبت من مجاز القرآن، وكذا ذكره عنه الطبري ٤٨٣/١٣.

(٣) ذكره الرازي ٢٨/١٩، وابن منظور في اللسان (محل).

(٤) في تفسير غريب القرآن ص ٢٢٦، وما سيأتي بين حاصرتين منه.

(٥) في تهذيب اللغة ٩٥/٥، وما سيأتي بين حاصرتين منه.

(٦) القراءات الشاذة ص ٦٦، والمحاسب ٣٥٦/١.

(٧) أخرجه الطبري ٤٨٤/١٣، وذكره الأزهري في تهذيب اللغة ٩٦/٥، والكلام منه.

(٨) هو أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الشافعي اللغوي، صاحب الغريين.

(٩) في النسخ: قاله ابن عباس، والمثبت من النكت والعيون ١٠٢/٣، والكلام منه. وقال ابن الجوزي

٣١٦/٤: قاله الحسن البصري فيما سمعناه عنه مستنداً من طرق، وقد رواه عنه جماعة من المفسرين منهم ابن الأنباري والنقاش، ولا يجوز هذا في صفات الله. قال النقاش: هذا قول منكر. وينظر تفسير الرازي ٢٨/١٩.

وسادسها: شديد الغضب؛ قاله وهب بن مُنبّه. وسابعها: شديد الهلاك بالَمَحْل، وهو القَحْط؛ قاله الحسن أيضاً. وثامنها: شديد الحيلة؛ قاله قَتَادَة^(١).

وقال أبو عبيدة مَعْمَر: المِحَال والمُمَاخَلَة: المُمَاكِرَة والمُغَالِبَة^(٢)، وأنشد للأعشى:

فِرْعُ نَبْعٍ يَهْتَزُّ فِي غُصْنِ الْمَجْدِ بِكَ كَثِيرُ النَّدَى شَدِيدُ الْمِحَالِ^(٣)
وقال آخر:

وَلَبَّسَ بَيْنَ أَقْوَامٍ فَكُلُّهُ أَعَدَّ لَهُ الشَّعَاذِبَ وَالْمِحَالَ^(٤)
وقال عبد المطلب:

لَا هُمْ إِنْ الْعَبْدَ يَمُ نَعُ رَحْلَهُ فَا مَنَعَ حِلَالِكَ
لَا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ وَمِحَالُهُمْ عَذْوًا مِحَالِكَ^(٥)

قوله تعالى: ﴿لَمْ دَعُوهُ لَمَقٍ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ
كَفْتِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۝١٢﴾

قوله تعالى: ﴿لَمْ دَعُوهُ لَمَقٍ﴾ أي: لله دعوة الصدق^(٦). قال ابن عباس وقتادة

(١) النكت والعيون ١٠٢/٣، وأخرج أغلب هذه الأقوال الطبري ٤٨٣/١٣ - ٤٨٤.

(٢) ينظر تفسير البغوي ١١/٣، وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن له ٣٢٥/١: «شديد المحال» أي: العقوبة والمكر والنكال، وقد سلف بعضه.

(٣) مجاز القرآن ٣٢٥/١، وهو في ديوان الأعشى ميمون بن قيس ص ٥٧، وهو فيهما برواية: غزير الندى. ووقع في النسخ الخطية: عظيم المحال، وهي رواية الطبري للبيت ٤٨٣/١٣.

(٤) مجاز القرآن ٣٢٦/١، وقائله ذو الرمة، وهو في ديوانه ١٥٤٤/٣ برواية: السفارة والمحالا. قال أبو نصر الباهلي شارح الديوان: اللبس: الاختلاط. والسفارة: الصلح بين القوم. ويروى: الشغاب، أي: الكيد والخصومة. والمحال: الجدل.

(٥) سيرة ابن هشام ٥١/١، والحيوان للجاحظ ١٩٨/٧ - ١٩٩، وسلف البيت الأول ٨٣/٢. ووقع في

(د) و(م): المرء، بدل: العبد، وهو موافق لما في كتاب الحيوان. قوله: جلالك بكسر الحاء: القوم المقيمون المتجاوزون، يريد بهم سكان الحرم. النهاية (حل).

(٦) تفسير البغوي ١٢/٣.

وغيرهما: لا إله إلا الله^(١).

وقال الحسن: إن الله هو الحق، فدعاؤه دعوة الحق^(٢).

وقيل: إن الإخلاص في الدعاء هو دعوة الحق؛ قاله بعض المتأخرين. وقيل: دعوة الحق: دعاؤه عند الخوف؛ فإنه لا يُدعى فيه إلا إياه، كما قال: ﴿حَتَّىٰ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَآءَ﴾ [الإسراء: ٣٧]؛ قال الماوردي^(٣): وهو أشبه بسياق الآية؛ لأنه قال: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ يعني الأصنام والأوثان ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ أي: لا يُجيبون لهم دعاءً، ولا يسمعون لهم نداءً ﴿إِلَّا كَبَسِطَ كَفَّتِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغٍ﴾ ضرب الله عزَّ وجلَّ الماء مثلاً لإيأسهم^(٤) من الإجابة لدعائهم؛ لأن العرب تضرب لمن سعى فيما لا يُدرکه مثلاً بالقابض الماء باليد؛ قال:

فأصبحت مما^(٥) كان بَيْنِي وَبَيْنَهَا من الودِّ مثل القابِضِ الماء باليد^(٦)
وفي معنى هذا المثل ثلاثة أوجه:

أحدها: أنَّ الذي يدعو إلهاً من دون الله كالظمآن الذي يدعو الماء إلى فيه من بعيد - يريد تناوله ولا يقدر عليه - بلسانه، ويشير إليه بيده، فلا يأتيه أبداً؛ لأنَّ الماء لا يستجيب، وما الماء ببالغ إليه؛ قاله مجاهد.

الثاني: أنه كالظمآن الذي يرى خياله في الماء وقد بسط كفَّه فيه ليبلغ فاه وما هو

(١) أخرجه عنهما الطبري ١٣/٤٨٥ - ٤٨٦.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ٣/١١، وابن الجوزي في زاد المسير ٤/٣١٧.

(٣) في النكت والعيون ٣/١٠٣.

(٤) في النسخ: ليأسهم، والمثبت من النكت والعيون. قال صاحب كتاب العين ٧/٣٣١: يشت منه يأساً، وآيسَتْ فلاناً إياساً. وتقول: آيسته فاستيأس، والمصدر منه: إياس.

(٥) في (م): فيما.

(٦) النكت والعيون ٣/١٠٣، ونسبه فيه الماوردي لأبي الهذيل، وهو دون نسبة في مجاز القرآن ١/٣٢٧،

وتفسير الطبري ١٣/٤٨٨. ونسبه صاحب الأغاني ٧/١٣٩ لأبي دهب الجمحي برواية: سوى ذكرها كالقابض، بدل: من الود مثل القابض.

ببالغه؛ لكذب ظنه، وفساد توهمه؛ قاله ابن عباس.

الثالث: أنه كباسط كفه إلى الماء ليقبض عليه فلا يحصل^(١) في كفه شيء منه.
وزعم الفراء أن المراد بالماء هاهنا البثر؛ لأنها معدن للماء، وأن المثل: كمن مدَّ يده إلى البثر بغير رشاء^(٢)، وشاهده قول الشاعر:
فإنَّ الماءَ ماءُ أبي وجدي وبشري ذو حَفَرْتُ وذو طَوَيْتُ^(٣)
قال عليؑ: هو كالعطشان على شفة البثر، فلا يبلغ قعر البثر، ولا الماء يرتفع إليه^(٤).

ومعنى «إلا كباسط»: إلا كاستجابة باسط كفه إلى الماء، فالمصدر مضاف إلى الباسط، ثم حذف المضاف، وفاعل المصدر المضاف مراد في المعنى وهو الماء، والمعنى: إلا كإجابة باسط كفه إلى الماء^(٥)، واللام في قوله: «لِيَبْلُغَ فاه» متعلقة بالْبَسْط.

وقوله: «وما هو ببالغ» كناية عن الماء، أي: وما الماء ببالغ فاه. ويجوز أن يكون «هو» كناية عن الفم، أي: ما الفم ببالغ الماء^(٦).
﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ أي: ليست عبادة الكافرين الأصنام إلا في ضلال؛ لأنها شرك. وقيل: إلا في ضلال، أي: يضلُّ عنهم ذلك الدعاء، فلا يجدون منه

(١) في (د) و(ز): فلا يجعل، وفي (م): فلا يجمد، والمثبت من (ظ) والنكت والعيون.

(٢) أي: حبل. القاموس (رشاء).

(٣) النكت والعيون ١٠٤/٢، والبيت لسان بن الفحل الطائي كما في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٥٩١/٢، وأمالى ابن الشجري ٥٥/٣، والخزانة ٣٥/٦. قال البغدادى: ذو اسم موصول، وهو هنا بمعنى التي.

(٤) أخرجه بنحوه الطبري ٤٨٨/١٣.

(٥) أي: إلا كإجابة الماء من بسط كفه إليه يطلب منه أن يبلغ فاه. الكشف ٣٥٤/٢، والإملاء (على هامش الفتوحات الإلهية) ٣٧٨/٣، والدر المصون ٣٤/٧.

(٦) المحرر الوجيز ٣٠٥/٣.

شيئاً^(١)، كما قال: ﴿إِنَّ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾ [الأعراف: ٣٧]
وقال ابن عباس: أي: أصوات الكافرين محجوبة عن الله فلا يسمع دعاءهم^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلُمًا لَهُمْ بِالْعُذُورِ
وَالْأَصَالِ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ قال الحسن وقَتادة
وغيرهما: المؤمن يسجد طوعاً، والكافر يسجد كرهاً بالسيف^(٣). وعن قَتادة أيضاً:
يسجد الكافر كارهاً حين لا ينفعه الإيمان. وقال الزجاج: سجود الكافر كرهاً: ما فيه
من الخضوع وأثر الصنعة^(٤).

وقال ابن زيد: «طَوْعاً»: مَنْ دخل في الإسلام رغبةً، و«كَرْهًا»: مَنْ دخل فيه
رَهْبَةً بالسيف^(٥).

وقيل: «طَوْعاً» مَنْ طالت مدته إسلامه فأَلِفَ السجود^(٦)، و«كَرْهًا» مَنْ يُكره نفسه
لله تعالى، فالآية في المؤمنين، وعلى هذا يكون معنى «والأرض»^(٧): وبعضُ مَنْ في
الأرض.

قال القُشَيْرِيُّ: وفي الآية مَسْلُكَان: أحدهما: أنها عامة والمرادُ بها التخصيص،
فالمؤمن يسجد طوعاً، وبعضُ الكفار يسجدون إكراهاً وخوفاً كالمنافقين، فالآية

(١) في (د) و(ز) و(م): سيلاً.

(٢) ذكره البغوي ١٢/٣، وابن الجوزي في زاد المسير ٣١٨/٤.

(٣) أخرجه الطبري ٤٩١/١٣ عن قَتادة، وذكره الطبرسي في مجمع البيان ١٥٨/١٣ عن الحسن.

(٤) بنحوه في معاني القرآن له ١٤٤/٣.

(٥) النكت والعيون ١٠٤/٣، وأخرجه الطبري ٤٩١/١٣.

(٦) النكت والعيون ١٠٤/٣.

(٧) في (ظ): وعلى هذا يكون معنى ومن في الأرض.

محمولة على هؤلاء؛ ذكره الفراء^(١). وقيل: على هذا القول: الآية في المؤمنين؛ منهم من يسجد طوعاً لا يثقل عليه السجود، ومنهم من يثقل عليه؛ لأن التزام التكليف مشقة، ولكنهم يتحملون المشقة إخلاصاً وإيماناً، إلى أن يألفوا الحق ويمرنوا عليه.

والمسلك الثاني - وهو الصحيح -: إجراء الآية على التعميم؛ وعلى هذا طريقان: أحدهما: أن المؤمن يسجد طوعاً، وأما الكافر فمأموراً بالسجود مؤاخذاً به. والثاني - وهو الحق - أن المؤمن يسجد بيده طوعاً، وكل مخلوق من المؤمن والكافر يسجد من حيث إنه مخلوق^(٢) سجوداً^(٣) دلالة وحاجة إلى الصانع، وهذا كقوله: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكَ إِذَا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤] وهو تسبيح دلالة لا تسبيح عبادة.

﴿وَوَلَّاهُمُ الْغَدْرَ وَالْأَصَالَ﴾ أي: ظلال الخلق ساجدة لله تعالى بالغدو والآصال؛ لأنها تنفياً^(٤) في هذين الوقتين، وتميل من ناحية إلى ناحية، وذلك تصرف الله إياها على ما يشاء، وهو كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَعُهُمْ فَلِلَّهِ عَنِ السَّمِئَاتِ السُّجَّدَا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ [النحل: ٤٨] قاله ابن عباس وغيره^(٥).

وقال مجاهد: ظل المؤمن يسجد طوعاً وهو طائع؛ وظل الكافر يسجد كرهاً^(٦) وهو كاره.

(١) في معاني القرآن ٦١/٢ .

(٢) بعدها في (ظ): مربوب مكوّن، أي: بتكوين الرب إياه، ويبقى بإبقائه، فسجود كل مخلوق.

(٣) في (د) و(ز) و(م): يسجد.

(٤) في (د) و(ز) و(م): تبين.

(٥) ينظر تفسير الطبري ٤٩٢/١٣ . ومعنى «ينفياً ظلاله»: تدور ظلاله وترجع من جانب إلى جانب. شرح غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٤٣ .

(٦) كذا في النسخ، ووقع بدلاً منها في تفسير الطبري ٤٩٢/١٣ ، والوسيط للواحدي ١١/٣ ، وتفسير البغوي ١٢/٣ : طوعاً. وذكره بلفظ: كرها، الرازي ٣٠/١٩ ، والسيوطي في الدر المنثور ٥٢/٤ - ٥٣ وعزه للطبري وابن المنذر.

وقال ابن الأنباري^(١): يُجعل للظلال عقولٌ تسجد بها وتخضع بها، كما جعل للجبال أفهامٌ حتى خاطبت وخوطبت. قال القشيري: في هذا نظر؛ لأنَّ الجبل عين، فيمكن أن يكون له عقلٌ بشرط تقدير الحياة، وأمَّا الظلالُ فآثارٌ وأعراضٌ، ولا يتصور تقدير الحياة لها، والسجودُ بمعنى الميل؛ فسجودُ الظلال: ميلها من جانب إلى جانب؛ يقال: سجدت النخلة، أي: مالت.

و«الأصال» جمع أصْل، والأصل جمع أصيل؛ وهو ما بين العصر إلى الغروب^(٢)، ثم أصائل جمع جَمْع الجمع^(٣)؛ قال أبو ذؤيب الهذلي:
لَعَمْرِي لَأَنْتَ الْبَيْتُ أَكْرَمُ أَهْلُهُ وَأَقْعُدُ فِي أَفْيَانِهِ^(٤) بِالْأَصَائِلِ^(٥)
و«ظلالهم» يجوز أن يكون معطوفاً على «مَنْ»، ويجوز أن يكون ارتفع بالابتداء، والخبرُ محذوف، التقدير: وظلالهم سَجَدُ بالغدو والأصال. و«الغدو» يجوز أن يكون مصدراً، ويجوز أن يكون جمعَ غداة، يقوِّي كونه جمعاً مقابلةً الجمع - الذي هو «الأصال» - به.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقول

(١) قوله في تفسير الرازي ٣٠/١٩.

(٢) مجاز القرآن ٢٣٩/١، وتفسير الطبري ٤٩٨/١٣، والنكت والعيون ١٠٤/٣.

(٣) في (د) و(ز) و(م): ثم أصائل جمع الجمع، والمثبت من (ظ)، والروض الأنف ٢٤/٢ - ٢٥ والكلام منه، وقد ردّه السهيلي فقال: وهذا خطأ بين من وجوه؛ منها: أن جمع جمع الجمع لم يوجد قط في الكلام فيكون هذا نظيره... ثم ذكر في ردّه وجوهاً كثيرة لا يتسع المجال لذكرها هنا.

(٤) في النسخ الخطية: أفئانه، والمثبت من (م) والمصادر.

(٥) ديوان الهذليين ١٤١/١، ومجاز القرآن ٢٣٩/١ و٣٢٣، والخزانة ٤٨٤/٥.

للمشركين: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ثم أمره أن يقول لهم: هو الله؛ إلزاماً للحجة إن لم يقولوا ذلك وجَهِلوا مَنْ هو.

﴿قُلْ أَفَاتَخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ هذا يدلُّ على اعترافهم بأن الله هو الخالق، وإلا لم يكن للاحتجاج^(١) بقوله: ﴿قُلْ أَفَاتَخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ معنى، دليله قوله: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ أي: فإذا اعترفتم فلمَ تعبدون غيره؟! وذلك الغير لا ينفع ولا يضرُّ. وهو إلزام صحيح.

ثم ضرب لهم مثلاً فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ فكذلك لا يستوي المؤمن الذي يبصر الحق، والمشرك الذي لا يبصر الحق. وقيل: الأعمى مثلٌ لِمَا عَبدوه من دون الله، والبصيرُ مثلُ الله تعالى.

﴿أَمْ هَلْ سَوَّيْنَا الظَّالِمِينَ وَالنُّورَ﴾ أي: الشرك والإيمان. وقرأ ابن محيٍصن وأبو بكر والأعمش وحمزة والكسائي: ﴿يَسْتَوِي﴾ بالياء^(٢) لتَقْدُم الفعل؛ ولأن تأنيث «الظلمات» ليس بحقيقي. الباكون بالتاء، واختاره أبو عبيد، قال: لأنه لم يَحُلْ بين المؤنَّث والفعلِ حائل^(٣). و«الظلمات والنور» مثل الإيمان والكفر، ونحن لا نفق على كيفية ذلك.

﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ هذا من تمام الاحتجاج، أي: خَلَقَ غيرُ الله مِثْلَ خَلْقِهِ فتشابه الخلقُ عليهم، فلا يدرون خَلَقَ اللهُ مِنَ خَلْقِ آلِهَتِهِمْ؟! ﴿قُلْ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: قل لهم يا محمد: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، فَلَزِمَ لذلك أن يعبدَه كلُّ شيء. والآية ردٌّ على المشركين والقَدَرِيَّة الذين زعموا أنهم خَلَقُوا كما خَلَقَ

(١) في (ظ): إذ لو لم يكونوا مقرين بأن الله هو الخالق لم يكن للاحتجاج. بدل: وإلا لم يكن للاحتجاج...

(٢) السبعة ص ٣٥٨، والتيسير ص ١٣٣ عن أبي بكر - وهو شعبة - وحمزة والكسائي.

(٣) ينظر الحجة للفارسي ١٥/٥.

الله^(١). ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ﴾ قبل كل شيء ﴿الْقَهَّارُ﴾: الغالب لكل شيء، الذي يغلب في مراده كل مُريد.

قال القسيري أبو نصر: ولا ينبغي أن تكون الآية واردة فيمن لا يعترف بالصانع، أي: سلّمهم عن خالق السماوات والأرض، فإنه يسهّل تقرير الحجة فيه عليهم، ويقرب الأمر من الضرورة؛ فإنَّ عَجَزَ الجماد وعَجَزَ كل مخلوق عن خلق السماوات والأرض معلوم، وإذا تقرّر هذا وبيان أنَّ الصانع هو الله، فكيف يجوز اعتقاد^(٢) الشريك له؟! وبين في أثناء الكلام أنه لو كان للعالم صانعان لاشتبه الخلق، ولم يتميز فعلُ هذا عن فعلِ ذلك، فبم يُعلم أنَّ الفعل من اثنين؟!

قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ النِّعْلِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿٧٧﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَهُمُ جَهَنَّمُ وَنِيسَ لِّلْهَادِ ﴿٧٨﴾ أَمَنْ يَمْلِكُ أَنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُ أَولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٧٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾ ضَرْبُ تعالى مثلين^(٣) للحق والباطل؛ فشبه الكفر بالزبد الذي يعلو الماء، فإنه يضمحل

(١) حز الغلاصم ص ٦٨ - ٦٩ ، وضرب مصنفه مثلاً لقول القدرية حركة اليد فقال: وذلك أن حركة الارتعاش في يد العبد هم موافقون لنا أنها خلّق الله تعالى لأنها واقعة بقدره الله وإرادته، فإذا أراد العبد أن يحرك يده باختياره وإرادته حركة تشبه الارتعاش، قالوا: هذه خلّق للعبد لأنها وقعت بقدرته وإرادته!

(٢) في (د) و(ز) و(م): اعتداد.

(٣) في (د) و(ز) و(م): ضرب مثلاً.

وَيَغْلَقُ^(١) بِجَنَابَاتِ الْأَوْدِيَةِ، وتدفعه الرياح، فكَذَلِكَ الْكَفْرُ تُمْحَقُ آثارُهُ. وَمَثَلُ الْحَقِّ بِالْجَوَاهِرِ الَّتِي تُذَابُ لِيُتَّخَذَ مِنْهَا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ، فَيَعْلُوها الرِّبْدُ وَالْحَبْتُ، فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَبْقَى، وَأَمَّا الْحَبْتُ فَيَذْهَبُ، فَكَذَلِكَ^(٢) يَذْهَبُ الْكَفْرُ وَيُضْمَحِلُّ، عَلَى مَا نَبَّيْنَهُ.

قال مجاهد: «فَسَأَلْتُ أَوْدِيَّةً بِقَدْرِهَا» قال: بِقَدْرِ مَلْئِهَا. وقال ابن جُرَيْج: بِقَدْرِ صِغَرِهَا وَكِبَرِهَا^(٣). وقرأ الأشهب العُقَيْلي والحسن: «بِقَدْرِهَا» بسكون الدال، والمعنى واحد. وقيل: معناها بما قَدَّرَ لها^(٤).

والأودية جمع الوادي؛ وسمي وادياً لخروجه وسيلانه؛ فالوادي على هذا اسمٌ للماء السائل^(٥).

وقال أبو علي: «فَسَأَلْتُ أَوْدِيَّةً» تَوَسَّعَ، أي: سال ماؤها، فحذف، قال: ومعنى «بِقَدْرِهَا»: بِقَدْرِ مِيَاهِهَا؛ لَأَنَّ الْأَوْدِيَةَ مَا سَالَتْ بِقَدْرِ أَنْفُسِهَا^(٦).

﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾ أي: طَالِعاً عَالِياً مرتفعاً فوق الماء. وتمَّ الكلام؛ قاله مجاهد^(٧).

ثم قال: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ وهو المثل الثاني ﴿آتِفَاءً جَلِيًّا﴾ أي: حلية

(١) في (ظ): فيعلو.

(٢) من قوله: الْكَفْرُ تُمْحَقُ آثارُهُ، إلى هذا الموضع من (ظ).

(٣) معاني القرآن للنحاس ٤٨٨/٣ وقول مجاهد في تفسيره ٣٢٧/١، وأخرجه الطبري ٥٠٠/١٣ - ٥٠١. وأخرج أيضاً قول ابن جريج ٥٠٣/١٣ عنه عن ابن عباس.

(٤) معاني القرآن للنحاس ٤٨٨/٣، وذكر القراءة ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٦٦.

(٥) تفسير الرازي ٣٦/١٩. وقال الأزهري في تهذيب اللغة ٢٣٢/١٤: قال شمر: ودى أي: سال، ومنه: الوُدِّيُّ فيما أرى لخروجه وسيلانه، ومنه: الوادي.

(٦) ينظر زاد المسير ٣٢١/٤.

(٧) تفسير مجاهد ٣٢٧/١، وهو عند الطبري ٥٠٠/١٣.

الذهب والفضة ﴿أَوْ مَتَّعَ زَيْدٌ مِّثْلَهُ﴾ قال مجاهد: المتاع^(١): الحديد والنحاس والرصاص. وقوله: «زَيْدٌ مِّثْلُهُ» أي: يعلو هذه الأشياء زَيْدٌ كما يعلو السيل، وإنما احتَمَلَ السيل الزبدَ لأنَّ الماء خالطه ترابُ الأرض، فصار ذلك زبداً، كذلك ما يوقد عليه في النار من الجوهر ومن الذهب والفضة مما يَنْبُثُ في الأرض من المعادن فقد خالطه التراب، فإنما يوقد عليه ليزوب فيزايله ترابُ الأرض.

وقوله: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّيْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ قال مجاهد: جُموداً^(٢). وقال أبو عبيدة^(٣): قال أبو عمرو بن العلاء: أَجْفَأَتِ الْقِدْرُ: إذا غَلَتِ حتى ينصبَّ زَبْدُها، وإذا جَمَدَ في أسفلها^(٤). والجُفاء: ما أجفأه الوادي، أي: رَمَى به^(٥).

وحكى أبو عبيدة أنه سمع رُوبة يقرأ: «جُفَالاً». قال أبو عبيدة: يقال: أَجْفَلَتِ الْقِدْرُ: إذا قذفت بزبدِها^(٦). وأجفلت الريح السحاب: إذا قطعت [وأذهبت]^(٧).

﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكُّ فِي الْأَرْضِ﴾ قال مجاهد: هو الماء الخالص الصَّافي^(٨). وقيل: الماء وما خلص من الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص. وهذان^(٩) المَثَلانِ ضَرَبَهُما الله للحقِّ في ثباته، والباطل في اضمحلاله، فالباطل وإن علا في

(١) قوله: المتاع، من (ظ) وهو الموافق لما في تفسير مجاهد ١/٣٢٧، وتفسير الطبري ١٣/٥٠٠.

(٢) تفسير مجاهد ١/٣٢٧، وهو عند الطبري ١٣/٥٠١.

(٣) في مجاز القرآن ١/٣٢٩، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في معاني القرآن ٣/٤٨٩.

(٤) قوله: وإذا جمد في أسفلها، وقع بدلاً منه في مجاز القرآن: أو سكنت فلا يبقى منه شيء.

(٥) ينظر القاموس (جفا).

(٦) الثكت والعيون ٣/١٠٧، والقراءة عن رُوبة في القراءات الشاذة ص ٦٦. قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/٣٠٨: قال أبو حاتم: لا تعتبر قراءة الأعراب في القرآن.

(٧) معاني القرآن للنحاس ٣/٤٨٩، وما بين حاصرتين منه، ووقع فيه: جفلت، بدل: أجفلت.

(٨) تفسير مجاهد ١/٣٢٧، وتفسير الطبري ١٣/٥٠١.

(٩) في (د) و(ز) و(م): وهو أن، بدل: وهذان.

بعض الأحوال؛ فإنه يضمحل كاضمحلال الرِّبْد والحَبَث.

وقيل: المراد مَثَلُ ضربه الله للقرآن وما يدخل منه [في] القلوب، فَشَبَّه القرآن بالمطر لعموم خيره وبقاء نَفْعِهِ، وَشَبَّه القلوب بالأودية، يدخل فيها من القرآن مثل ما يدخل في الأودية [من الماء] بحسب سعتها وضيقها. قال ابن عباس: ﴿أَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً﴾ قال: قرآنًا ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ يَقْدَرُهَا﴾ قال: الأودية قلوب العباد^(١). قال صاحب «سوق العروس»^(٢): إن صحَّ هذا التفسير فالمعنى فيه: أن الله سبحانه مَثَل القرآن بالماء. ومَثَل القلوب بالأودية، ومَثَل المُحَكَّم بالصَّافي، ومَثَل المتشابه بالرِّبْد. وقيل: الرِّبْد مَخَايِلُ النفس وغوائل الشك^(٣)، ترتفع من خبث^(٤) ما فيها، فتضطرب من سلطان تلُّعها^(٥)، كما أن ماء السَّيل يجري صافياً، فيرفع ما يجد في الوادي باقياً. وأمَّا حلية الذهب والفضة فَمَثَل الأحوال السَّيِّئَةِ والأخلاق الرَّذِيئَةِ؛ التي بها جمال الرجال، وقوامُ صالح الأعمال، كما أن من الذهب والفضة زينة النساء، وبهما قيمة الأشياء.

وقرأ حميد وابن محيصن ويحيى والأعمش وحمزة والكسائي وحفص:

(١) النكت والعيون ١٠٦/٣، وما سلف بين حاصرتين منه. قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٣٠٨/٣: وهذا قول لا يصح - والله أعلم - عن ابن عباس؛ لأنه ينحو إلى أقوال أصحاب الرموز، ولا وجه لإخراج اللفظ عن مفهوم كلام العرب لغير علة تدعو لذلك.

(٢) لعله عبد الكريم بن عبد الصمد، أبو معشر الطبري المقرئ، شيخ أهل مكة، صنف كتاب سوق العروس في القراءات المشهورة والغريبة، وكتاب الدرر في التفسير وغيرهما، توفي سنة (٤٧٨هـ). معرفة القراء الكبار ٨٢٧/٢. وثمة كتاب آخر بهذا الاسم لابن الجوزي ذكره ونقل عنه الألوسي في روح المعاني ٦٣/٨.

(٣) في (ظ): الشرك.

(٤) في (د) و(ز) و(م): حيث، والمثبت من (ظ).

(٥) في (د) و(ز): تلفها، وفي (ظ): ما فيها، والمثبت من (م). والتَّلْع جمع تلَّعة، وهي مجرى الماء من أعلى الوادي إلى بطون الأرض يحفر فيها كهيئة الخندق، أو هي أرض غليظة مرتفعة يتردد فيها السيل ثم يدفع منها إلى أخرى أسفل منها. معجم متن اللغة (تلع).

﴿يُوقَدُونَ﴾ بالياء^(١). واختارها أبو عبيد؛ لقوله: «يَنْفَعُ النَّاسَ» فأخبر، ولا مخاطبة هاهنا. الباقون بالتاء؛ لقوله في أول الكلام: ﴿قُلْ أَتَأْتِظُمُونَ مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ﴾ الآية^(٢).

وقوله: «في النَّارِ» متعلّقٌ بمحذوف، وهو في موضع الحال، وذو الحال الهاء التي في «عليه»، التقدير: ومما توقدون عليه ثابتاً في النار أو كائناً. وفي قوله: «في النار» ضميرٌ مرفوعٌ يعود إلى الهاء التي هي اسمُ ذي الحال، ولا يستقيم أن يتعلّق: «في النار» بـ «يوقدون» من حيث لا يستقيم: أوقدتُ عليه في النار؛ لأن الموقد عليه يكون في النَّار، فيصير قوله: «في النار» غير مفيد^(٣).

وقوله: «ابْتَغَاءَ حِلْيَةٍ» مفعول له. «زَبَدٌ مِثْلُهُ» ابتداء وخبر، أي: زبدٌ مثل زبد السيل. وقيل: إنَّ خبر «زَبَدٌ» قوله: «في النار». الكسائي: «زَبَدٌ» ابتداء، و«مِثْلُهُ» نعتٌ له، والخبر في الجملة التي قبله، وهو: «مما يُوقَدُونَ»^(٤).

﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ أي: كما بيّن لكم هذه الأمثالَ فكذلك يضربها بيّنات. تم الكلام. ثم قال: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أي: أجابوا، استجاب بمعنى أجاب؛ قال:

فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبٌ

وقد تقدم^(٥).

(١) السبعة ص ٣٥٨، والتيسير ص ١٣٣ عن حمزة والكسائي وحفص. وذكرها عن ابن محيصن ويحيى ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/٣٠٨.

(٢) ينظر الكشف عن وجوه القراءات ٢/٢٢، وتفسير الرازي ١٩/٣٦.

(٣) ذكر هذا القول ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/٣٠٧ عن مكّي وغيره، وقال: وذهب أبو علي الفارسي إلى تعلّقها بـ «يوقدون» وقال: قد يوقد على شيء وليس في النار، كقوله تعالى: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَهَنَكُنَّ عَلَى الْخَلِيلِينَ﴾ فذلك البناء الذي أمر به يوقد عليه وليس في النار، لكن يصيبه لهبها. اهـ وقول أبي علي في الحجة له ١٦/٥ - ١٧.

(٤) مشكل إعراب القرآن ١/٣٩٨.

(٥) ١/٣٢١، وقائله كعب بن سعد الغنوي، وصدّره: وداع دعا يا مَنْ يجيب إلى التّدى.

أي: أجاب إلى ما دعاه الله من التوحيد والنبوات. ﴿الْحُسْنُ﴾ لأنها في نهاية الحُسن. وقيل: من الحسن: النصرُ في الدنيا، والنعيمُ المقيمُ غداً.

﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ أي: لم يُجيبوا إلى الإيمان به ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ أي: من الأموال ﴿وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾ مِلْكُ لَهُمْ ﴿لَافْتَدَوْا بِهِ﴾ من عذاب يوم القيامة، نظيره في «آل عمران»: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٠]، و﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَن يُبْعَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَكَى بِهِ﴾ [آل عمران: ٩١] حَسْبَ ما تقدّم بيانه هناك.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ أي: لا يقبل لهم حسنة، ولا يتجاوز لهم عن سيئة. وقال فرقد السبخي: قال لي إبراهيم النخعي: يا فرقد! أتدري ما سوء الحساب؟ قلت: لا! قال: هو أن يحاسب الرجل بذنبه كله، لا يفقد منه شيء^(١). ﴿وَمَأْوَاهُمْ﴾ أي: مسكنهم ومقامهم ﴿جَهَنَّمَ وَيَسَّ لِلْهَادِ﴾ أي: الفراش الذي مهّدوا لأنفسهم.

قوله تعالى: ﴿أَفَنَنْبَعُثُكُمْ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ هذا مثلُ ضربه الله للمؤمن والكافر، ورُوي أنها نزلت في حمزة بن عبد المطلب ﷺ، وأبي جهل لعنه الله^(٢). والمراد بالعمى: عمى القلب، والجاهل بالدين أعمى القلب ﴿إِنَّمَا يَذْكُرُ أُولَئِ الْأَلْبَابِ﴾.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثَ﴾ ﴿٧٥﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ هذا من صفة ذوي الألباب، أي:

(١) أخرجه الطبري ١٣/٥٠٦ و ٥٠٩، وفيه: لا يغفر، بدل: لا يفقد. وفرقد السبخي هو ابن يعقوب، أبو يعقوب البصري، توفي سنة (١٣١هـ). التهذيب ٣/٣٨٤.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ٣/١٣ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

إنما يتذكر أولو الألباب الموفون بعهد الله. والعهد اسمٌ للجنس، أي: بجميع عهود الله، وهي أوامره ونواهيه التي وصّى بها عبيده، ويدخل في هذه الألفاظ التزام جميع الفروض، وتجنب جميع المعاصي^(١).

وقوله: ﴿وَلَا يَنْقُضُونَ أَلَيْتَهُ﴾ يَحْتَمِلُ أن يريد به جنس الموائيق، أي: إذا عقدوا في طاعة الله عهداً لم ينقضوه؛ قال قتادة: تقدّم الله إلى عباده في نقض الميثاق ونهى عنه في بضع وعشرين آية^(٢). ويحتمل أن يشير إلى ميثاق بعينه، وهو الذي أخذه الله على عباده حين أخرجهم من صُلْب أبيهم آدم^(٣). وقال القفال: هو ما رُكِب في عقولهم من دلائل التوحيد والنبوات.

الثانية: روى أبو داود وغيره^(٤) عن عوف بن مالك قال: كنّا عند رسول الله ﷺ سبعة أو ثمانية أو تسعة، فقال: «ألا تُبايعون رسولَ الله ﷺ؟» وكنا حديث عهد ببيعة، فقلنا: قد بايعناك [حتى قالها ثلاثاً؛ فبسطنا أيدينا فبايعناه، فقال قائل: يا رسول الله! إنّا قد بايعناك] فعلى ماذا تُبايعك؟ قال: «أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وتُصلّوا الصلوات الخمس، وتسمعوا وتطيعوا - وأسرّ كلمة خفية - قال: ولا تسألوا الناس شيئاً». قال: فلقد كان بعض أولئك نفر يسقط سَوْطُه، فما يسأل أحداً أن يناوله إيّاه. قال ابن العربي^(٥): من أعظم الموائيق في الذكر ألا يُسأل سواه؛ فقد كان أبو حمزة الخراساني من كبار العبّاد^(٦)، سمع أن ناساً بايعوا رسولَ الله ﷺ ألا يسألوا

(١) المحرر الوجيز ٣/٣٠٩.

(٢) المحرر الوجيز ٣/٣٠٩، وأخرجه مطولاً الطبري ١٣/٥٠٧ - ٥٠٨.

(٣) تفسير البغوي ٣/١٤، والمحرر الوجيز ٣/٣٠٩ بنحوه.

(٤) سنن أبي داود (١٦٤٢)، وما سيأتي بين حاصرتين منه، وهو عند مسلم (١٠٤٣).

(٥) في أحكام القرآن ٣/١٠٩٩، وما سيأتي بين حاصرتين منه.

(٦) قال ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٦/١٥٤، ١٥٦: من مشايخ الصوفية المعروفين، ينسب إلى دمشق، ويحتمل أن يكون سكنها وإلا فهو من أهل خراسان المعروفين، وصحب مشايخ بغداد، وهو من أقران الجنيد. وقيل: إن صاحب القصة (التي ستأتي) أبو حمزة البгдаدي، وقيل: الدمشقي. اهـ والقصة بنحوها في الحلية ١٠/١٧٧ - ١٧٨، وتاريخ بغداد ١/٣٩١ - ٣٩٢، وتليس إبليس ص ٢٩٣.

أحداً شيئاً، الحديث. فقال أبو حمزة: ربّ إنَّ هؤلاء عاهدوا نبيّك إذ رأوه، وأنا أعاهدك ألا أسأل أحداً شيئاً. قال: فخرج حاجاً من الشام يريد مكة، فبينما هو يمشي في الطريق من الليل إذ بقي^(١) عن أصحابه لعذر، ثم اتّبعهم، فبينما هو يمشي إليهم إذ سقط في بئر على حاشية الطريق، فلما حلّ في قعره قال: أستغيث؛ لعل أحداً يسمعني [فيخرجني]. ثم قال: إن الذي عاهدته يراني ويسمعني، والله لا تكلمتُ بحرف للبشر. ثم لم يلبث إلا يسيراً إذ مرَّ بذلك البئر نفر، فلما رأوه على حاشية الطريق قالوا: إنه لينبغي سدُّ هذا البئر، ثم قطعوا خشباً ونصبوها على فم البئر وغطّوها بالتراب، فلما رأى ذلك أبو حمزة قال: هذه مهلكة، ثم أراد أن يستغيث بهم، ثم قال: والله لا أخرج منها أبداً، ثم رجع إلى نفسه فقال: أليس قد عاهدت من يراك^(٢)؟ فسكّت وتوكل، ثم استند في قعر البئر مفكراً في أمره، فإذا بالتراب يقع عليه والخشب يرفع عنه، وسمع في أثناء ذلك من يقول: هات يدك! قال: فأعطيته يدي فأقلّني في مرة واحدة إلى فم البئر، فخرجت فلم أر أحداً^(٣)؛ فسمعت هاتفاً يقول: كيف رأيت ثمرة التوكل؟ وأنشد:

نَهَانِي حَيَاتِي مِنْكَ أَنْ أَكْشَفَ الْهَوَى	وَأَغْنَيْتَنِي ^(٤) بِالْعِلْمِ مِنْكَ عَنِ الْكُشْفِ
تَلَطَّفْتُ فِي أَمْرِي فَأَبْدَيْتَ شَاهِدِي	إِلَى غَائِبِي وَاللُّطْفُ يُدْرِكُ بِاللُّطْفِ
تَرَاءَيْتَ لِي بِالْعِلْمِ حَتَّى كَأَنَّمَا	تُخَبِّرُنِي بِالْغَيْبِ أَنَّكَ فِي كَفٍّ ^(٥)
أَرَانِي ^(٦) وَبِي مِنْ هَيْبَتِي لَكَ وَخَشَةُ	فَتَوَضَّعْتُ بِاللُّطْفِ مِنْكَ وَبِالْعَطْفِ

(١) في (ظ): انقطع.

(٢) في أحكام القرآن: أليس الذي عاهدت يرى ذلك كله.

(٣) كذا في أحكام القرآن، وفي باقي المصادر أن الذي أخرجه هو سُبُع، وسيأتي ذكر ذلك.

(٤) في (د) و(ز) و(م) وتلييس إبليس: فأغنييتني، والمثبت من (ظ) وباقي المصادر.

(٥) في تاريخ بغداد: بالكف، وفي تاريخ ابن عساكر وتلييس إبليس: في الكف، وفي الحلية: في كفي.

(٦) في المصادر عدا أحكام القرآن: أراك.

وَتُحْيِي مُحِبًّا أَنْتَ فِي الْحَبِّ حَتْفُهُ وَذَا عَجَبٌ كَيْفَ^(١) الْحَيَاءُ مَعَ الْحَتْفِ
قال ابن العربي^(٢): هذا رجلٌ عاهد الله؛ فوجد الوفاء على التمام والكمال،
فاقتدوا به إن شاء الله تهتدوا.

قال أبو الفرج الجوزي^(٣): سكوتُ هذا الرجل في هذا المقام على التوكل بزعمه
إعانة على نفسه، وذلك لا يَحِلُّ، ولو فَهِمَ معنى التوكل لَعَلِمَ أنه لا يُنافي استغاثته في
تلك الحالة، كما لم يخرج رسول الله ﷺ من التوكل بإخفائه الخروج من مكة،
واستنجاره دليلاً، واستكثامه ذلك الأمر، واستتاره في الغار، وقوله لسُرَاقَةَ: «أَخْفِ
عَنَّا»^(٤). فالتوكل الممدوح لا يُنال بفعل محظور؛ وسكوتُ هذا الواقع في البئر
محظورٌ عليه، وبيانُ ذلك أن الله تعالى قد خلق للآدمي آلة يدفع عنه بها الضرر، وآلة
يجتلب بها النفع، فإذا عَظَّلَهُمَا^(٥) مدَّعيًا للتوكل كان ذلك جهلاً بالتوكل، وردًا لحكمة
الواضع^(٦)؛ لأنَّ التوكل إنما هو اعتمادُ القلب على الله تعالى، وليس من ضرورته
قطعُ الأسباب؛ ولو أن إنساناً جاع فلم يسأل حتى مات دخل النار؛ قاله سفيان
الثوري^(٧) وغيره، لأنه قد دلَّ على طريق السلامة، فإذا تقاعد عنها أعان على نفسه.

وقال أبو الفرج^(٨): ولا الْفِاتَ إِلَى قول أبي حمزة: فجاء أسدٌ فأخرجني! فإنه إن
صحَّ ذلك فقد يقع مثله اتفاقاً، وقد يكونُ لطفاً من الله تعالى بالعبد الجاهل، ولا يُنكر

(١) في المصادر عدا أحكام القرآن: كون.

(٢) في أحكام القرآن ٣/ ١١٠٠.

(٣) في صفة الصفوة ١/ ٢٦ - ٢٨، وبنحوه في تلبيس إبليس ص ٢٩٤ - ٢٩٥.

(٤) أخرجه أحمد (١٧٥٩١)، والبخاري (٣٦٠٩) مطولاً من حديث سُرَاقَةَ.

(٥) في (د) و(ز) و(م): عطلها.

(٦) في النسخ: التواضع، والمثبت من صفة الصفوة.

(٧) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٧/ ٦٦.

(٨) في صفة الصفوة ١/ ٢٨.

أن يكون الله تعالى لَطَفَ به، إِنَّمَا يُنَكِّرُ فعلُهُ الذي هو كَسَبُهُ، وهو إِعَانَتُهُ على نفسه التي هي وديعةٌ لله تعالى عنده، وقد أمره بحفظها.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ۝ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ أَلَسَيِّئَةُ أُولَئِكَ لَمْ تُعْقِبْ الدَّارِ ۝ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۝ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقْبَى الدَّارِ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ ظاهره^(١) في صِلَةِ الأرحام؛ وهو قول قتادة وأكثر المفسرين^(٢)، وهو مع ذلك يتناول جميع الطاعات. ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ قيل: في قطع الرحم. وقيل: في جميع المعاصي. ﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ سوء الحساب: الاستقصاء فيه والمناقشة، وَمَنْ نُوقِشَ الحساب عُدْب.

وقال ابن عباس وسعيد بن جبير: معنى «يَصِلُونَ ما أَمَرَ الله به»: الإيمان بجميع الكتب والرسل كلهم.

الحسن: هو صلة محمد ﷺ.

ويحتمل رابعاً: أَنْ يَصِلُوا الإيمانَ بالعمل الصالح ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ فيما أمرهم بوضله ﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ في تركه^(٣).

والقول الأول يتناول هذه الأقوال كما ذكرنا، وبالله توفيقنا.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ قيل: «الَّذِينَ» مستأنف؛ لأنَّ «صَبَرُوا» ماضٍ فلا ينعطف على «يُوفُونَ». وقيل: هو مِنْ وَضَفٍ مَنْ تَقَدَّمَ، ويجوز الوصف تارة

(١) في (د) و(ز) و(م): ظاهر.

(٢) ينظر تفسير البغوي ١٤/٣، وخبر قتادة ذكره الماوردي في النكت والعيون ١٠٨/٣.

(٣) النكت والعيون ١٠٨/٣، وذكره عن ابن عباس الراحي في الوسيط ١٣/٣.

بلفظ الماضي، وتارة بلفظ المستقبل؛ لأنَّ المعنى: مَنْ يفعلُ كذا فله كذا، ولمَّا كان «الذين» يتضمَّن الشرط، والماضي في الشرط كال مستقبل، جاز ذلك؛ ولهذا قال: ﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ﴾، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾، ثم عطف عليه فقال: ﴿وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾.

قال ابن زيد: صبروا على طاعة الله، وصبروا عن معصية الله^(١). وقال عطاء: صبروا على الرِّزَايا والمصائب، والحوادث والنوائب^(٢). وقال أبو عمران الجوني: صبروا على دينهم ابتغاء وجه الله.

﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: أدَّوْها بفروضها وخشوعها في مَوَاقِيتِها ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ يعني الزكاة المفروضة؛ عن ابن عباس، وقد مضى القول في هذا في «البقرة»^(٣) وغيرها.

﴿وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ أي: يدفعون بالعمل الصالح السيِّئ من الأعمال؛ قاله ابن عباس^(٤). ابنُ زيد: يدفعون الشرَّ بالخير. سعيد بن جبير: يدفعون المنكر بالمعروف. الضَّحَّاك: يدفعون الفُحْشَ بالسَّلام. جُوَيْر: يدفعون الظلم بالعفو. ابنُ شجرة: يدفعون الذنب بالتوبة^(٥). القُتَيْبِيُّ^(٦): يدفعون سَفَهَ الجاهل بالحِلْم، فالسَّفَه السَّيِّئَةُ، والحِلْمُ الحسنة. وقيل: إذا همُّوا بسيئة رجعوا عنها واستغفروا. وقيل: يدفعون الشُّرْكَ بشهادة أن لا إله إلا الله^(٧).

(١) أخرجه بنحوه الطبري ٥١٠/٣.

(٢) ذكره البغوي ١٦/٣.

(٣) ٢٧٣/١، وخبر ابن عباس أخرجه الطبري ٥٠٩/١٢.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ١٤/٣، والبغوي ١٦/٣.

(٥) ذكر هذه الأقوال الماوردي في النكت العيون ١٠٩/٣، وقول ابن زيد أخرجه الطبري ٥١٠/١٣.

(٦) في تفسير غريب القرآن ص ٢٢٧.

(٧) ذكر القول الأخير ابن عطية في المحرر الوجيز ٣٠٩/٣.

فهذه تسعة أقوال، معناها كلها متقارب، والأول يتناولها بالعموم، ونظيره: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ بِهِنَّ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ: «وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقِ حَسَنٍ»^(١).

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ﴾ أي: عاقبة الآخرة، وهي الجنة بدل النار، والدارُ غداً داران: الجنة للمطيع، والنار للعاصي؛ فلماً ذُكر وصف المطيعين فدارُهم الجنة لا محالة. وقيل: عني بالدار دار الدنيا، أي: لهم جزاء ما عملوا من الطاعات في دار الدنيا.

قوله تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ أي: لهم جنات عدن، فـ «جَنَّاتُ عَدْنٍ» بدل من «عُقْبَى»^(٢)، ويجوز أن يكون تفسيراً لـ «عُقْبَى الدَّارِ» أي: لهم دخول جنات عدن؛ لأنَّ «عُقْبَى الدَّارِ» حَدَثٌ، و«جَنَّاتُ عَدْنٍ» عين، والحدث إنما يفسر بحدث مثله؛ فالمصدر المحذوف مضاف إلى المفعول. ويجوز أن يكون «جَنَّاتُ عَدْنٍ» خبر ابتداء محذوف^(٣).

و«جَنَّاتُ عَدْنٍ» وسط الجنة وقصبتها، وسقفها عرش الرحمن^(٤)؛ قاله القشيري أبو نصر عبد الرحيم^(٥). وفي «صحيح» البخاري: «إذا سألت الله فاسأله الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تَفَجَّرُ أنهار الجنة»^(٦) فيحتمل أن تكون «جنات عدن» كذلك إن صحَّ بذلك^(٧) خبر. وقال عبد الله بن عمرو:

(١) أخرجه أحمد (٢١٩٨٨)، والترمذي (١٩٨٧) من حديث معاذ ؓ. وأخرجه أحمد (٢١٣٥٤) والترمذي (١٩٨٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) معاني القرآن للزجاج ١٤٧/٣، وإعراب القرآن للنحاس ٣٥٦/٢.

(٣) ينظر الإملاء للكعبري (على هامش الفتوحات الإلهية) ٣/٣٨٢ - ٣٨٣، والدر المصون ٤٤/٧، وقال السمين: ويجوز أن يكون «جنات عدن» مبتدأ خبره: «يدخلونها».

(٤) ينظر ما سلف ٢٩٩/١٠ - ٣٠٠.

(٥) في (د) و(ز): عبد الكريم، وفي (م): عبد الملك.

(٦) قطعة من حديث أخرجه أحمد (٨٤١٩)، والبخاري (٢٧٩٠) عن أبي هريرة ؓ.

(٧) في (د) و(ف) و(م): فذلك.

إِنَّ فِي الْجَنَّةِ قَصْراً يُقَالُ لَهُ: عَدْنٌ، حوله البُرُوجُ والمروج؛ فيه خمسة آلاف باب^(١)، على كل باب خمسة آلاف خَيْرَةٍ^(٢)، لا يدخله إلا نبيٌّ أو صديقٌ أو شهيد.

و«عدن» مأخوذٌ من عَدَنَ بالمكان: إذا أقام فيه؛ على ما يأتي بيانه في سورة الكهف إن شاء الله تعالى^(٣).

﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ يجوز أن يكون معطوفاً على «أُولَئِكَ»، المعنى: أولئك ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم لهم عقبى الدار^(٤). ويجوز أن يكون معطوفاً على الضمير المرفوع في «يَدْخُلُونَهَا»، وحسن العطف لما حال الضمير المنصوب بينهما^(٥). ويجوز أن يكون المعنى: يدخلونها ويدخلها من صلح من آبائهم، أي: من كان صالحاً، لا يدخلونها بالأنساب. ويجوز أن يكون موضع «مَنْ» نصباً على تقدير: يدخلونها مع من صلح من آبائهم^(٦)، أي: فإن^(٧) لم يعمل مثل أعمالهم يلحقه الله بهم كرامة لهم.

وقال ابن عباس: هذا الصلاحُ الإيمانُ بالله والرسول، ولو كان لهم مع الإيمان طاعات أخرى لدخلوها بطاعتهم لا على وجه التَّبَعِيَّةِ. قال القُشَيْرِيُّ: وفي هذا نظر؛ لأنه لا بدَّ من الإيمان، فالقول في اشتراط العمل الصالح كالقول في اشتراط الإيمان. فالأظهر أنَّ هذا الصلاحَ في جملة الأعمال، والمعنى: أنَّ النعمةَ عَدّاً تَتِمُّ عليهم بأنَّ

(١) في (د) و(ز) و(م): فيه ألف باب، والمثبت من (ظ)، وهو موافق لما في مصنف ابن أبي شيبة ٣٠٧/٥، وتفسير الطبري ٥٦٣/١١ و ٥١٢/١٣.

(٢) أي: ذات خير، والجمع: خيرات، ويعني النساء. وسيرد الخبر في تفسير الآية (٥٠) من سورة ص.

(٣) عند تفسير الآية (٣١) منها.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣٥٧/٢.

(٥) البيان لابن الأنباري ٥١/٢، والإملاء للعكبري (على هامش الفتوحات الإلهية) ٣٨٣/٣.

(٦) معاني القرآن للزجاج ١٤٧/٣، ومشكل إعراب القرآن ٣٩٨/١، والبيان ٥١/٢، والإملاء ٣٨٣/٣.

(٧) في (د) و(ز) و(م): وإن، بدل: أي فإن.

جعلهم مجتمعين مع قَرَابَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنْ دَخَلَهَا كُلُّ إِنْسَانٍ بِعَمَلِ نَفْسِهِ، بَلْ بِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ أي: بِالْتَّحَفِ وَالْهَدَايَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَكْرِمَةً لَهُمْ. ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: يَقُولُونَ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، فَأُضْمِرَ الْقَوْلَ، أي: قَدْ سَلَّمْتُمْ مِنَ الْآفَاتِ وَالْمَحَنِّ. وَقِيلَ: هُوَ دَعَاءٌ لَهُمْ بِدَوَامِ السَّلَامَةِ، وَإِنْ كَانُوا سَالِمِينَ، أي: سَلِّمَكُمْ اللَّهُ، فَهُوَ خَيْرٌ مَعْنَاهُ الدَّعَاءُ، وَيَتَضَمَّنُ الْاعْتِرَافَ بِالْعِبَادِيَّةِ.

﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ أي: بِصَبْرِكُمْ، فـ «مَا» مَعَ الْفِعْلِ بِمَعْنَى الْمَصْدَرِ، وَالْبَاءُ فِي «بِمَا» مُتَعَلِّقَةٌ بِمَعْنَى «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ»، وَيَجُوزُ أَنْ تَتَعَلَّقَ بِمَحْذُوفٍ، أي: هَذِهِ الْكِرَامَةُ بِصَبْرِكُمْ، أي: عَلَى أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَنَهْيِهِ؛ قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ. وَقِيلَ: عَلَى الْفَقْرِ فِي الدُّنْيَا؛ قَالَ أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ. وَقِيلَ: عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ^(١)؛ كَمَا رَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ تَدْرُونَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «الْمُجَاهِدُونَ الَّذِينَ تُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَتُنْقَى بِهِمُ الْمَكَارِهِ، فَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي نَفْسِهِ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قِضَاءً، فَتَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنَعَمَ عَقِبِي الدَّارُ»^(٢).

وقال محمد بن إبراهيم: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَأْتِي قُبُورَ الشَّهَدَاءِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ حَوْلٍ فَيَقُولُ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنَعَمَ عَقِبِي الدَّارُ»، وَكَذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ^(٣)؛

(١) فِي النَّكَتِ وَالْعِيُونِ ١٠٩/٣ .

(٢) أَخْرَجَهُ مَطْوَلًا أَحْمَدُ (٦٥٧٠)، وَعَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ فِي الْمُنْتَخَبِ (٣٥٢)، وَالْبَزَارُ (٣٦٦٥ - كَشَفُ)، وَابْنُ حِبَانَ (٧٤٢١)، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيقَةِ ٣٤٧/١. وَقَدْ وَقَعَ فِي جَمِيعِ الْمَصَادِرِ: الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرُونَ، بَدَلُ: الْمُجَاهِدُونَ.

(٣) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ (٦٧١٦)، وَالطَّبْرِيُّ ٥١٣/١٣. وَمُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: هُوَ التَّيْمِيُّ الْمَدَنِيُّ الْحَافِظُ مِنْ عُلَمَاءِ الْمَدِينَةِ مَعَ سَالِمٍ وَنَافِعٍ، وَكَانَ جَدُّهُ الْحَارِثُ بْنُ خَالِدِ بْنِ صَخْرٍ الْقُرَشِيُّ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمُهَاجِرِينَ، تُوْفِيَ سَنَةَ ١١٩هـ. السِّيرُ ٢٩٤/٥ .

وذكره البَيْهَقِيُّ^(١) عن أبي هريرة قال: كان النبي ﷺ يأتي الشهداء، فإذا أتى فُرْصَةً الشُّعْبَ يقول: «السلامُ عليكم بما صبرْتُم فنعمَ عقبى الدار». ثم كان أبو بكر بعد النبي ﷺ يفعلُه، وكان عمرُ بعد أبي بكر يفعلُه، وكان عثمانُ بعد عمرَ يفعلُه.

وقال الحسن البصريُّ رحمه الله: بما صبرتم عن فُضُول الدنيا. وقيل: بما صبرتم على ملازمة الطاعة، ومُفارقة المعصية؛ قال معناه الفُضَيْلُ بن عِيَّاض. ابن زيد: بما صبرتم عَمَّا تحبُّونه إذا فقدتموه. ويحتمل سابعاً: بما صبرتم عن اتباع الشهوات^(٢).

وعن عبد الله بن سَلَام وعلي بن الحسين ﷺ أنهما قالَا^(٣): إذا كان يومُ القيامة ينادي منادٌ: لِيَقُمْ أهل الصبر، فيقوم ناسٌ من الناس، فيقال لهم: انطلقوا إلى الجنة، فتتلقَّاهم الملائكة فيقولون: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة، قالوا: قبل الحساب؟ قالوا: نعم. فيقولون: مَنْ أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الصبر، قالوا: وما كان صبرُكم؟ قالوا: صَبَرْنَا أَنْفُسَنَا على طاعة الله، وصَبَرْنَاها عن معاصي الله، وصَبَرْنَاها على البلاء والمحن في الدنيا. قال علي بن الحسين: فتقول لهم الملائكة: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين. وقال ابن سَلَام: فتقول لهم الملائكة: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾^(٤).

﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ أي: نعم عاقبة الدار التي كنتم فيها؛ عملتم فيها ما أَعَقَبَكُمْ هذا الذي أنتم فيه، فالعقبى على هذا اسم، و«الدار» هي الدنيا. وقال أبو عمران الجَوْنِي: «فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ»: الجنة عن النار^(٥). وعنه: «فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ»: الجنة عن الدنيا^(٦).

(١) في دلائل النبوة ٣/٣٠٦.

(٢) النكت والعيون ٣/١٠٩.

(٣) في النسخ: أنه قال، والمثبت هو الجادة.

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣/١٣٩ - ١٤٠ عن علي بن الحسين مطولاً، ولم تقف عليه عن عبد الله بن سلام.

(٥) أخرجه الطبري ١٣/٥١٤.

(٦) النكت والعيون ٣/١٠٩.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ اللَّعَنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۝١٥﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَّعٌ ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ لَمَّا ذَكَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِعَهْدِهِ، والواصلين^(١) لأمره، وَذَكَرَ مَا لَهُمْ، ذَكَرَ عَكْسَهُمْ. فنقض^(٢) الميثاق: ترك أمره. وقيل: إهمال عقولهم؛ فلا يتدبرون بها ليعرفوا الله تعالى. ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ أي: من الأرحام، والإيمان بجميع الأنبياء ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: بالكفر وارتكاب المعاصي ﴿أُولَئِكَ هُمُ اللَّعَنَةُ﴾ أي: الطرد والإبعاد من الرحمة ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ أي: سوء المُنْقَلَب، وهو جهنم. وقال سعد بن أبي وقاص: والله الذي لا إله إلا هو، إنهم الحرورية^(٣).

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ لَمَّا ذَكَرَ عَاقِبَةَ الْمُؤْمِنِينَ وَعَاقِبَةَ الْمُشْرِكِ، بَيَّنَّ أَنَّهُ - تعالى - الذي يبسط الرزق وَيَقْدِرُ فِي الدُّنْيَا؛ لَأَنَّهَا دَارُ امْتِحَانٍ، فَبَسْطَ الرِّزْقَ عَلَى الْكَافِرِينَ لَا يَدُلُّ عَلَى كِرَامَتِهِمْ، وَالتَّقْتِيرُ عَلَى بَعْضِ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَدُلُّ عَلَى إِهَانَتِهِمْ.

﴿وَيَقْدِرُ﴾ أي: يضيّق، ومنه: ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ [الطلاق: ٧] أي: ضيّق. وقيل: «يقدر»: يعطي بقدر الكفاية.

﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعني مشركي مكة^(٤)؛ فرحوا بالدنيا ولم يعرفوا غيرها، وَجَهِلُوا مَا عِنْدَ اللَّهِ. وهو معطوف على ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾.

وفي الآية تقديم وتأخير؛ التقدير: والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه،

(١) في (د) و(ز) و(م): والواصلين، والمثبت من (ظ).

(٢) في (د) و(ز): بنقض، وفي (م): نقض، والمثبت من (ظ).

(٣) أخرجه مطولاً البخاري (٤٧٢٨)، والطبري ٣١٤/١٣ دون ذكر القسم.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ١٤/٣ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل، ويفسدون في الأرض، وفرحوا بالحياة الدنيا.
﴿وَمَا لِحَيَوٰةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ﴾ أي: في جَنِّهَا ﴿إِلَّا مَتَّعٌ﴾ أي: متاعٌ من الأمتعة،
كالقَضْعَةِ والسُّكَّرِجَةِ^(١). وقال مجاهد: شيءٌ قليلٌ ذاهبٌ^(٢). مِنْ مَتَّعَ النَّهَارُ: إذا
ارتفع، فلا بدَّ له من زوال^(٣). ابن عباس: زَادَ كَزَادَ الرَّاعِي^(٤). وقيل: متاع الحياة
الدنيا: ما يُسْتَمْتَعُ بها منها. وقيل: ما يُتَزَوَّدُ منها إلى الآخرة من التقوى والعمل
الصالح^(٥). ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ الْآلَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ ثم ابتدأ: ﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ
وَيَقْدِرُ﴾ أي: يوسِّع ويضيق؟.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ
مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٧﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا
بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ بيِّن في مواضع أنَّ
اقتراح الآيات على الرسل جهلٌ، بعد أن رأوا آيةً واحدةً تدلُّ على الصدق، والقائلُ
عبد الله بن أبي أمية^(٦) وأصحابه حين طالبوا النبي ﷺ بالآيات. ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ
يَشَاءُ﴾ أي: كما أضلَّكم بعد ما أنزل من الآيات وحرَّمكم الاستدلالَ بها يُضِلُّكم عند
نزول غيرها. ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ أي: مَنْ رَجَعَ. والهاء في «إليه» للحق، أو

(١) إناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم، وهي فارسية. اللسان (سكرج).

(٢) أخرجه الطبري ٤١٦/١٣ - ٤١٧، وهو في تفسير مجاهد ٣٢٨/١.

(٣) ينظر تهذيب اللغة ٢/٢٩٥.

(٤) أخرجه الطبري ٤١٧/١٣.

(٥) ذكر هذا القول الماوردي في النكت والعيون ٣/١١٠.

(٦) أخو أم سلمة زوج النبي ﷺ، وابن عمته عاتكة، كان شديدًا على المسلمين، وهو الذي قال: ﴿لَنْ تُؤْمِنُوا
لَكَ حَتَّى تَفْجَرَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَبُوءَا﴾ [الإسراء: ٩٠] ثم أسلم وشهد الفتح وحنيناً والطائف. الإصابة ١١/٦.
وينظر سيرة ابن هشام ٣٠٩/١.

للإسلام، أو لله عزَّ وجلَّ؛ على تقدير: ويهدي إلى دينه وطاعته مَنْ رَجَعَ إليه بقلبه. وقيل: هي للنبي ﷺ.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ «الذين» في موضع نصب؛ لأنه مفعول؛ أي: يهدي الله الذين آمنوا. وقيل: بدلٌ من قوله: «مَنْ أَنَابَ» فهو في محلِّ نصبٍ أيضاً^(١).

﴿وَتَطْمِئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: تسكن وتستأنس بتوحيد الله، ف«تطمئنُّ» حال^(٢)، أي: وهم تطمئنُّ قلوبهم على الدوام بذكر الله بألستهم؛ قاله قتادة^(٣). وقال مجاهد وغيره^(٤): بالقرآن. وقال سفيان بن عيينة: بأمره. مقاتل: بوعده. ابن عباس: بالحلف باسمه^(٥)، أو تطمئنُّ بذكر فضله وإنعامه، كما تَوَجَّلَ بذكر عذله وانتقامه وقضائه. وقيل: «بذكر الله» أي: يذكرون الله ويتأملون آياته، فيعرفون كمال قدرته عن^(٦) بصيرة.

﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ أي: قلوب المؤمنين. قال ابن عباس: هذا في الحلف؛ فإذا حلف خَصَّمَهُ بالله سَكَنَ قلبه^(٧).

وقيل: «بذكر الله» أي: بطاعة الله. وقيل: بثواب الله. وقيل: بوعد الله^(٨). وقال مجاهد: هم أصحاب النبي ﷺ^(٩).

(١) معاني القرآن للزجاج ١٤٧/٣، وإعراب القرآن للنحاس ٣٥٧/٢. ويجوز الرفع على الابتداء. ينظر الدر المصون ٤٦/٧.

(٢) في (د) و(ز) و(م): قال، والمثبت من (ظ).

(٣) أخرجه بنحوه الطبري ٥١٨/١٣، وذكره الماوردي في النكت والعيون ١١٠/٣.

(٤) في (د) و(ز): وقال مجاهد وقاتدة وغيره، وفي (م): وقال مجاهد وقاتدة وغيرهما، والمثبت من (ظ)، وقول مجاهد ذكره الماوردي في النكت والعيون ١١٠/٣.

(٥) ذكره البغوي ١٧/٣.

(٦) في (ظ): على.

(٧) ذكره البغوي ١٧/٣، وقد سلف قريباً.

(٨) النكت والعيون ١١٠/٣.

(٩) أخرجه الطبري ٥١٩/١٣، وهو في تفسير مجاهد ٣٢٨/١.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسَنُ مَّا بَ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ ابتداء وخبر. وقيل: معناه: لهم طوبى، فـ «طوبى» رفع بالابتداء، ويجوز أن يكون موضعه نصباً على تقدير: جعل لهم طوبى، ويُعطف عليه «وَحَسَنُ مَّا بَ» على الوجهين المذكورين، فترفع أو تنصب^(١).

وذكر عبد الرزاق: أخبرنا مَعْمَر، عن يحيى بن أبي كثير، عن عمرو بن زيد^(٢) البِكَالِي، عن عُثْبَةَ بْنِ عَبْدِ السُّلَمِيِّ قال: جاء أعرابيٌّ إلى النبي ﷺ فسأله عن الجنة وذكر الحوض، فقال: فيها فاكهة؟ قال: «نعم، شجرة تدعى طوبى». قال: يا رسول الله! أي شجرة أرضنا تُشبهه؟ قال: «لا تُشبه شيئاً من شجر أرضك، أتيت الشام؟ هناك شجرة تدعى الجوزة تُنْبِتُ على ساقٍ ويفترش أعلاها». قال: يا رسول الله! فما عَظْمُ أصلها! قال: لو ارْتَحَلْتَ جَذْعَةً من إبل أهلك ما أَحْطَتَ بأصلها حتى تنكسر تَرْقُوتُهَا هَرَمًا» وذكر الحديث^(٣)، وقد ذكرناه بكماله في أبواب الجنة من كتاب «التذكرة»^(٤)، والحمد لله.

وذكر ابن المبارك قال: أخبرنا مَعْمَر، عن الأشعث بن^(٥) عبد الله، عن شهر بن

(١) ينظر معاني القرآن للزجاج ١٤٨/٣، وإعراب القرآن للنحاس ٣٥٧/٢، والبيان لابن الأنباري ٥١/٢. وقرأ: «وحسن ما ب» بالنصب ابن محيصن. القراءات الشاذة ص ٦٧.

(٢) في (د) و(ز) و(ظ): عمرو بن يزيد، وفي (م): عمرو بن أبي يزيد، والمثبت هو الصواب، ويقال له: عامر، كما سيرد.

(٣) لم نقف عليه عند عبد الرزاق، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٧١٦)، والطبراني في الكبير ٣١٣/١٧، وابن عبد البر في التمهيد ٣٢٠/٣ - ٣٢١ من طريق عبد الرزاق به. وأخرجه أحمد (١٧٦٤٢) من طريق معمر به، إلا أنه قال: عامر بن زيد، وكذلك ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٣٢٠/٦، وابن حبان في الثقات ١٩١/٥.

(٤) ص ٤٥١ - ٤٥٢.

(٥) في (د) و(ز) و(م): عن، والمثبت من (ظ) والمصادر على ما يأتي.

حَوْشَب، عن أبي هريرة قال: في الجنة شجرة يُقال لها: طوبى، يقول الله تعالى: تَفْتَقِي لعبدي عَمَّا شاء، فَتَفْتَقِي له عن فرسٍ بسرجه ولجامه وهيئته كما شاء، وَتَفْتَقِي عن الراحلة بِرَحْلِهَا وزمامها وهيئتها كما شاء، وعن النَّجَّاب والثَّيَّاب^(١).

وذكر ابنُ وهبٍ من حديث شَهْر بن حَوْشَب، عن أبي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ قال: «طُوبَى» شجرة في الجنة ليس منها دارٌ إلا وفيها غصنٌ منها، ولا طيرٌ حَسَنٌ إلا هو فيها، ولا ثمرةٌ إلا هي فيها^(٢).

وقد قيل: إِنَّ أَضْلَهَا في قصر النبي ﷺ في الجنة، ثم تنقسم فروعها على [جميع] منازل أهل الجنة، كما انتشر منه العلم والإيمان على جميع أهل الدنيا^(٣).

وقال ابن عباس: «طُوبَى لَهُمْ»: فرحٌ^(٤) وقرّة عينٍ. وعنه أيضاً: أن «طوبى» اسمُ الجنة بالحِشْبِيَّة. وقاله سعيد بن جُبَيْر^(٥).

الربيع بن أنس: هو البستان بلغة الهند^(٦)؛ قال القُشَيْرِيُّ: إن صح هذا فهو وفاقٌ بين اللغتين.

وقال قَتَادَة: «طُوبَى لَهُمْ»: حُسْنَى لَهُمْ^(٧). عِكْرَمَة: نُعْمَى لَهُمْ^(٨). إبراهيم

(١) الزهد لابن المبارك (٢٦٥ - زوائد نعيم)، ومن طريق ابن المبارك أخرجه الطبري ١٣/٥٢٤، وأخرجه عبد الرزاق في التفسير ١/٣٣٦ عن معمر به.

(٢) لم نقف عليه، وأخرج نحوه ابن المبارك في الزهد (٢٦٨ - زوائد نعيم)، وابن أبي شيبة ١٣/١٣٦، والطبري ١٣/٥٢٥ عن مغيث بن سُمَيٍّ.

(٣) التعريف والإعلام للسهيلى ص ٨٤، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٤) بعدها في (د) و(ز) و(م): لهم، والمثبت من (ظ)، وتفسير الطبري ١٣/٥٢١.

(٥) أخرجه الطبري ١٣/٥٢٢ من طريق سعيد بن جبیر عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) ذكره البغوي ٣/١٨، وأخرجه الطبري ١٣/٥٢٢ من قول سعيد بن مسجوح.

(٧) أخرجه الطبري ١٣/٥٢١.

(٨) زاد المسير ٤/٣٢٨، وهو في تفسير الطبري ١٣/٥٢٠، ومعاني القرآن للنحاس ٣/٢٩٣، والنكت والعيون ٣/١١١ بلفظ: نَعَم ما لهم.

النَّحْيُ: خير لهم. وعنه أيضاً: كرامة من الله لهم. الضَّحَاكُ: غِبْطَةٌ لهم^(١).
 النحاس^(٢): وهذه الأقوال متقاربة؛ لأن طُوبَى فُعْلَى من الطَّيِّب، أي: العيشُ
 الطَّيِّبُ لهم، وهذه الأشياء ترجعُ إلى الشيء الطَّيِّب.
 وقال الزجاج: طُوبَى فُعْلَى من الطَّيِّب^(٣). وهي الحالة المُسْتَطَابَةُ لهم، والأصل:
 طُيِّي، فصارت الياء واواً لسكونها وضمُّ ما قبلها، كما قالوا: موسِرٌ وموقِنٌ.
 قلت: والصحيح أنها شجرة؛ للحديث المرفوع الذي ذكرناه، وهو صحيح على
 ما ذكره السُّهَيْلِيُّ^(٤). ذكره أبو عمر في «التمهيد»^(٥)، ومنه نقلناه، وذكره أيضاً الثعلبيُّ
 في تفسيره.

وذكر أيضاً المَهْدَوِيُّ والقُسَيْرِيُّ عن معاوية بن قُرَّة، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ
 قال: «طوبى شجرة في الجنة غَرَسَهَا الله بيده، ونفخ فيها من روحه، تُنبت الحُلِيِّ
 والحُلُل، وإنَّ أغصانها لَتَرى من وراء سور الجنة»^(٦) وَمَنْ أَرَادَ زِيَادَةَ عَلَى هَذِهِ الْأَخْبَارِ
 فَلْيُطَالِعِ الثَّعْلَبِيَّ.

وقال ابن عباس: «طُوبَى» شجرة في الجنة أصلها في دار علي، وفي دار كلِّ
 مؤمن منها غُصْنٌ^(٧).

(١) زاد المسير ٣٢٨/٤، وأخرج هذه الأقوال الطبري ١٣/٥٢٠ - ٥٢٢.

(٢) في معاني القرآن ٣/٤٩٤.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/١٤٨، ونقله المصنف عنه بواسطة ابن الجوزي في زاد المسير ٣٢٨/٤،
 وما سيأتي بعده ذكره ابن الجوزي عن ابن الأنباري. وذكر قول الزجاج وابن الأنباري أيضاً الواحد في
 الوسيط ٣/١٦.

(٤) في التعريف والإعلام ص ٨٤.

(٥) ٣/٣٢٠.

(٦) أخرجه الطبري ١٣/٥٢٨.

(٧) ذكره الطبرسي في مجمع البيان ١٣/١٧٣ من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وعزاه
 للثعلبي.

وقال أبو جعفر محمد بن علي: سئل النبي ﷺ عن قوله تعالى: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَتَابٍ﴾ قال: «شجرة أصلها في داري، وفروعها في الجنة». ثم سئل عنها مرة أخرى فقال: «شجرة أصلها في دار علي، وفروعها في الجنة»، فقليل له: يا رسول الله، سئلت عنها فقلت: «أصلها في داري وفروعها في الجنة» ثم سئلت عنها فقلت: «أصلها في دار علي وفروعها في الجنة» فقال النبي ﷺ: «إن داري ودار علي غداً في الجنة واحدة في مكان واحد»^(١).

وعنه ﷺ: «هي شجرة أصلها في داري، وما من دار من دوركم إلا تدلّي فيها عُصْنٌ منها»^(٢) ﴿وَحُسْنُ مَتَابٍ﴾ أي: مرجع^(٣)؛ آب: إذا رجع. وقيل: تقدير الكلام: الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وعملوا الصالحات طوبى لهم.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِآ أُمَمٌ﴾ أي: أرسلناك كما أرسلنا الأنبياء من قبلك؛ قاله الحسن^(٤). وقيل: شبه الإنعام على من أرسل إليه محمد عليه الصلاة والسلام بالإنعام على من أرسل إليه الأنبياء قبله. ﴿لِّتَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يعني القرآن ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾. قال مقاتل وابن جريج: نزلت في صلح الحديبية حين أرادوا أن يكتبوا كتاب الصلح، فقال النبي ﷺ لعلي: «اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم» فقال سهيل بن عمرو والمشركون: ما نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة - يعنون مسيلمة الكذاب - اكتب: باسمك اللهم. وهكذا

(١) ذكره الطبرسي في مجمع البيان ١٣/١٧٣ وهو ضعيف لإرساله.

(٢) ينظر مجمع البيان ١٣/١٧٢.

(٣) قوله: أي مرجع، من (ظ).

(٤) ذكره الرازي ١٩/٥١.

كان أهل الجاهلية يكتبون، فقال النبي ﷺ لعلي: «اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله» فقال مشركو قريش: لئن كنت رسول الله ثم قاتلناك وصددناك لقد ظلمناك، ولكن اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله، فقال أصحاب النبي ﷺ: دعنا نقاتلهم، فقال: «لا، ولكن اكتب ما يريدون» فنزلت^(١).

وقال ابن عباس: نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي ﷺ: «اشجّدوا للرحمن» قالوا: وما الرحمن؟ فنزلت: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: الذي أنكرتم ﴿هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾^(٢) ولا معبود سواه، هو واحد بذاته وإن اختلفت أسماء صفاته ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ واعتمدت ووثقت ﴿وَالَيْهِ مَتَابٌ﴾ أي: مرجعي غداً، واليوم أيضاً عليه توكلت ووثقت، رضا بقضائه، وتسليماً لأمره.

وقيل: سمع أبو جهل رسول الله ﷺ يدعو في الحجر ويقول: «يا الله، يا رحمن» فقال: كان محمد ينهانا عن عبادة الآلهة، وهو يدعو إلهين! فنزلت هذه الآية، ونزل: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾^(٣) [الإسراء: ١١٠].

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَةٌ بِهِ الْمَوْتُ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ أَلَمْ يَأْتِصِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ هذا متصل بقوله: ﴿لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ

(١) أخرجه عن قتادة ومجاهد الطبري ١٣/٥٣٠ - ٥٣١، وذكره عنهما البغوي ٣/١٩، وذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٢٧٧ عن أهل التفسير. وحديث صلح الحديبية ليس فيه ذكر لنزول هذه الآية، وقد أخرجه مطولاً أحمد (١٨٩١٠) و(١٨٩٢٨)، والبخاري (٢٧٣١) و(٢٧٣٢) من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم. وينظر حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند أحمد (٣١٨٧)، وحديث أنس عند أحمد (١٣٨٢٧)، ومسلم (١٧٨٤).

(٢) أسباب النزول للواحدي ص ٢٧٧، وتفسير البغوي ٣/١٩.

(٣) ذكره البغوي ٣/١٩، وابن الجوزي ٤/٣٢٩.

ءَايَةً مِّن رَّبِّهِمْ. وَذَلِكَ أَنَّ نَفَرًا مِنْ مُّشْرِكِي مَكَّةَ فِيهِمْ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ الْمُخَزُومِيَّانِ جَلَسَا خَلْفَ الْكَعْبَةِ، ثُمَّ أَرْسَلُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَاهُم، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: إِنَّ سِرَّكَ أَنْ نَتَّبِعَكَ فَسَيَّرَ لَنَا جِبَالَ مَكَّةَ بِالْقُرْآنِ، فَأَذْهَبَهَا عَنَّا حَتَّى تَنْفَسِحَ؛ فَإِنَّهَا أَرْضٌ ضَيِّقَةٌ، وَاجْعَلْ لَنَا فِيهَا عِيونًا وَأَنْهَارًا حَتَّى نَغْرَسَ وَنَزْرَعَ، فَلَسْتُ - كَمَا زَعَمْتَ - بِأَهْوَنَ عَلَى رَبِّكَ مِنْ دَاوُدَ حَيْثُ سَخَّرَ لَهُ الْجِبَالَ تُسَبِّحُ مَعَهُ^(١)، وَسَخَّرَ لَنَا الرِّيحَ فَتَرْكَبُهَا إِلَى الشَّامِ نَقْضِي عَلَيْهَا مِيرَتَنَا وَحَوَائِجَنَا، ثُمَّ نَرْجِعُ مِنْ يَوْمِنَا؛ فَقَدْ كَانَ سَلِيمَانُ سَخَّرَ لَهُ الرِّيحَ كَمَا زَعَمْتَ، فَلَسْتُ بِأَهْوَنَ عَلَى رَبِّكَ مِنْ سَلِيمَانَ بْنِ دَاوُدَ، وَأَخِي^(٢) لَنَا قُصِيًّا جَدُّكَ - أَوْ مَنْ شِئْتَ أَنْتَ مِنْ مَوْتَانَا - نَسْأَلُهُ: أَحَقُّ مَا تَقُولُ أَنْتَ أَمْ بَاطِلٌ؟ فَإِنَّ عِيسَى كَانَ يُحْيِي الْمَوْتَى، وَلَسْتُ بِأَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنْهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَنَا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ الآية؛ قَالَ مَعْنَاهُ الزَّيْبَرُ بْنُ الْعَوَامِ^(٣). وَمَجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَالضُّحَّاكُ^(٤).

والجواب محذوفٌ تقديره: لَكَانَ هَذَا الْقُرْآنُ، لَكِنْ حَذَفَ إِيْجَازًا، لَمَّا فِي ظَاهِرِ الْكَلَامِ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ^(٥)، كَمَا قَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ:

فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ جَمِيعَةً وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَسَاقُطُ أَنْفُسًا^(٦)
يعني: لَهَانَ عَلَيَّ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ قَتَادَةَ؛ قَالَ: لَوْ فَعَلَ هَذَا قُرْآنٌ قَبْلَ قِرَائَتِكُمْ لَفَعَلَهُ قُرْآنُكُمْ^(٧).

(١) فِي (د) وَ(ز) وَ(م): حِينَ سَخَّرَ لَهُ الْجِبَالَ تَسِيرَ مَعَهُ، وَالْمَثْبُتُ مِنْ (ظ)، وَتَفْسِيرُ الْبَغْوِيِّ ١٩/٣، وَالْكَلَامُ مِنْهُ.

(٢) فِي تَفْسِيرِ الْبَغْوِيِّ: أَوْ سَخَّرَ لَنَا الرِّيحَ فَتَرْكَبُهَا... أَوْ أَحْيَى.

(٣) أَخْرَجَهُ عَنِ الزَّيْبَرِ أَبُو يَعْلَى (٦٧٩)، وَالْوَاحِدِيُّ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ ص ٢٧٨.

(٤) أَخْرَجَ قَوْلَهُمُ الطَّبْرِيُّ ١٣/٥٣٢ وَ ٥٣٤، وَهُوَ فِي تَفْسِيرِ مَجَاهِدٍ ١/٣٢٨، وَعَنْ قَتَادَةَ أَخْرَجَهُ أَيْضًا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ١/٣٣٦.

(٥) النَّكْتُ وَالْعِيُونَ ٣/١١٢.

(٦) دِيوَانُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ ص ١٠٧.

(٧) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ ١٣/٥٣٤، وَذَكَرَهُ الْبَغْوِيُّ ٣/٢٠، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ ٤/٣٣٠، وَلَفْظُهُ عَنْهُمْ: لَوْ فَعَلَ هَذَا بِقُرْآنٍ قَبْلَ قُرْآنِكُمْ لَفَعَلَ بِقُرْآنِكُمْ.

وقيل: الجوابُ متقدّم، وفي الكلام تقديم وتأخير، أي: وهم يكفرون بالرحمن ولو^(١) أنزلنا هذا^(٢) القرآنَ وفعلنا بهم ما اقترحوا.

الفراء: يجوز أن يكون الجوابُ: لو فعل بهم هذا لكفروا بالرحمن^(٣).
الزجاج^(٤): ﴿وَلَوْ أَن قُرْءَانًا﴾ إلى قوله: ﴿الْمَوْتُ﴾ لَمَا آمَنُوا، والجوابُ المضمرُ هنا ما أظهر في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَاهُ إِلَيْهِمُ الْمَلِئِكَةَ﴾ إلى قوله: ﴿مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١].

﴿بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ أي: هو المالكُ لجميع الأمور، الفاعلُ لَمَا يشاء منها، فليس ما تلتسمونه مما يكون بالقرآن، إنما يكون بأمر الله.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِنِيسَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ قال الفراء: قال الكلبي: «يئيس» بمعنى يعلم، لغة النَّخَع^(٥). وحكاه القشيريُّ عن ابن عباس، أي: أفلم يعلموا، وقاله الجوهريُّ في «الصحاح»^(٦).

وقيل: هي لغةُ هَوَازِن^(٧)، أي: أفلم يعلم؛ عن ابن عباس ومجاهدٍ والحسن^(٨).
وقال أبو عبيدة: أفلم يعلموا ويتبينوا، وأنشد في ذلك أبو عبيدة لمالك بن عوف النَّضْرِي:

(١) في النسخ: لو، والمثبت هو الصواب. ينظر معاني القرآن للفراء ٦٣/٢، وتفسير الطبري ٥٣١/١٣، وتفسير البغوي ٢٠/٣، والمححر الوجيز ٣١٣/٣، وزاد المسير ٣٣١/٤.

(٢) قوله: هذا، من (ظ).

(٣) بنحوه في معاني القرآن للفراء ٦٣/٢.

(٤) في معاني القرآن له ١٤٨/٣.

(٥) معاني القرآن للفراء ٦٤/٢، وقد ذكره من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس. وأخرجه الطبري ٥٣٨/١٣ من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٦) مادة (يئس).

(٧) تفسير الطبري ٥٣٦/١٣.

(٨) النكت والعيون ١١٣/٣، وسلف تخريجه عن ابن عباس.

أَقُولُ لَهُمْ بِالشُّعْبِ إِذْ يَنْسِرُونَنِي أَلَمْ تَيَأْسُوا أَنِّي ابْنُ قَارِسٍ زَهْدَمٌ^(١)
يَسْرُونَنِي مِنَ الْمَيْسِرِ^(٢)، وقد تقدّم في «البقرة»، ويروى: يَأْسِرُونَنِي مِنَ الْأَسْرِ^(٣).
وقال رَبَّاحُ بْنُ عَدِيٍّ:

أَلَمْ يَنْسِرِ الْأَقْوَامُ أَنِّي أَنَا^(٤) ابْنُهُ وَإِنْ كُنْتُ عَنْ أَرْضِ الْعَشِيرَةِ نَائِيًا^(٥)
فِي كِتَابِ «الرَّدِّ»: أَنِّي أَنَا ابْنُهُ، وكذا ذكره الغزنوي^(٦)، أي: أَلَمْ يَعْلَمْ.
والمعنى على هذا: أفلم يعلم الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً من
غير أن يشاهدوا الآيات.

وقيل: هو من اليأس المعروف، أي: أفلم يئس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء
الكفار؛ لعلمهم أن الله تعالى لو أراد هدايتهم لهداهم^(٧)؟ لأن المؤمنين تَمَنُّوا نزول
الآيات طمعاً في إيمان الكفار.

وقرأ عليّ وابن عباس: «أَفَلَمْ يَتَبَيَّنَ الَّذِينَ آمَنُوا»^(٨) من البيان. قال القشيري:
وقيل لابن عباس: المكتوب: ﴿أَفَلَمْ يَأْتَيْنِ﴾ قال: أظنُّ الكاتب كتبها وهو ناعِسٌ^(٩)،

(١) مجاز القرآن ٣٣٢/١ برواية: يَأْسِرُونَنِي (وسيدكرها المصنف)، وقد نسب لسُحَيْمِ بْنِ وَثِيلٍ، وكذلك
نسبه لسُحَيْمِ الطَّبْرِيِّ ٥٣٥/١٣، وابن منظور في اللسان (يشس)، وقال ابن منظور: وذكر بعض العلماء
أنه لولده جابر بن سُحَيْمٍ. اهـ. ولم تقف على مَنْ نسب لمالك بن عوف.

(٢) قال ابن منظور في اللسان يشس: كان وقع عليه سباء، فضربوا عليه بالميسر يتحاسبون على قِسْمَةِ فِدَائِهِ،
وينظر تفسير الطبري ٥٣٥/١٣.

(٣) ينظر تفسير الطبري ٥٣٥/١٣، واللسان (يشس). وقد سلف البيت ٤٣٦/٣ برواية: يَسْرُونَنِي.

(٤) قوله: أَنَا، من (ظ) والمصادر.

(٥) النكت والعيون ١١٣/٣، وذكره أبو الليث ١٩٤/٢ من أجوبة ابن عباس على سؤالات نافع بن الأزرق
منسوباً لمالك بن عوف، وهو بلا نسبة في تفسير الطبري ٥٣٦/١٣، وأساس البلاغة (يشس).

(٦) من قوله: فِي كِتَابِ الرَّدِّ، إلى هذا الموضع ليس في (ظ).

(٧) معاني القرآن للنحاس ٤٩٩/٣ ونسب القول للكسائي، وينظر معاني القرآن للفراء ٦٣/١ - ٦٤.

(٨) القراءات الشاذة ص ٦٧، والمحتسب ٣٥٧/١.

(٩) أخرجه الطبري ٥٣٧/١٣ من طريق عكرمة عن ابن عباس.

أي: زاد بعض الحروف حتى صار ﴿يَأْتِيسَ﴾.

قال أبو بكر الأنباري: روى عكرمة عن ابن عباس^(١) أنه قرأ: «أفلم يتبين الذين آمنوا» وبها احتج من زعم أنه الصواب في التلاوة، وهو باطل عن ابن عباس؛ لأن مجاهداً وسعيد بن جبيرة حكيا الحرف عن ابن عباس على ما هو في المصحف بقراءة أبي عمرو وروايته عن مجاهد وسعيد بن جبيرة عن ابن عباس. ثم إن معناه: أفلم يتبين، فإن كان مراد الله تحت اللفظة التي خالفوا بها الإجماع فقراءتنا تقع عليها، وتأتي بتأويلها. وإن أراد الله المعنى الآخر - الذي اليأس فيه ليس من طريق العلم - فقد سقط مما أوردوا، وأما سقوطه يُبطل القرآن، ويلزم^(٢) أصحابه البهتان.

﴿أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ﴾ «أن» مخففة من الثقيلة، أي: أنه لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً وهو يرد على القدرة وغيرهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ﴾ أي: داهية تفجؤهم بكفرهم وعتوهم؛ ويقال: قرعه أمر: إذا أصابه، والجمع: قوارع؛ والأصل في القرع: الضرب؛ قال:

أَفَنِي تِلَادِي وَمَا جَمَعْتُ مِنْ نَشَبٍ قَرَعُ الْقَوَاقِيزِ أَفَوَاهِ الْأَبَارِقِ^(٣)
أي: لا يزال الكافرون تصيبهم داهية مهلكة؛ من صاعقة كما أصاب أربد^(٤)،

(١) وقع في (د) و(ز) و(م): ابن أبي نجيج، بدل: ابن عباس، والمثبت من (ظ)، وينظر التعليق السابق.

(٢) في (د) و(ز) و(م): ولزوم.

(٣) البيت للأقيشر الأسدي كما في الأغاني ٢٧٦/١١، واللسان (ققز)، وبلا نسبة في إصلاح المنطق ص ٣٧٢، والمقتضب ٢١/١، والإنصاف ٢٣٣/١. قوله: تلادي، التلاد: المال الذي له أصل عند صاحبه مما جمع أبوه وغيره له، والنشَب: المال، والقواقيز: آنية من آنية الشراب. يقول: أفنى مالي كثرة شربي وإنفاقي فيه. ويجوز في أفواه الأباريق الرفع على أنه فاعل للمصدر «قرع» والقواقيز مفعولة، والنصب على أنه مفعول والقواقيز فاعلة. ينظر شرح أبيات إصلاح المنطق للسيرافي ص ٥٤١.

(٤) سلفت قصته ص ٣٦-٣٧ من هذا الجزء.

أو من قتلٍ أو أسيرٍ أو جَذِبٍ، أو غير ذلك من العذاب والبلاء، كما نزل بالمستهزئين، وهم رؤساء المشركين.

وقال عكرمة عن ابن عباس: القارعة: النكبة^(١).

وقال ابن عباس أيضاً وعكرمة: القارعة: الطلائعُ والسرايا التي كان يُنفِذُها رسول الله ﷺ لهم^(٢).

﴿أَوْ تَحُلْ﴾ أي: القارعة ﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ قاله الحسن^(٣). وقال ابن عباس: أَوْ تَحُلْ أنت قريباً من دارهم^(٤).

وقيل: نزلت الآية بالمدينة؛ أي: لا تزال تصيبهم القوارعُ، فتتزل بساحتهم، أو بالقرب منهم، كغُفْرِى المدينة ومكة، ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ في فتح مكة؛ قاله مجاهد وقتادة^(٥).

وقيل: نزلت بمكة، أي: تصيبهم القوارع، أو تخرج^(٦) عنهم إلى المدينة يا محمد، فتحلُّ قريباً من دارهم، أو تحلُّ بهم محاصراً لهم؛ وهذه المحاصرة لأهل الطائف، ولِقِلَاحِ خَيْبَرَ، أو يأتي^(٧) وعدُّ الله بالإذن لك في قتالهم وقهرهم. وقال الحسن: وعدُّ الله: يوم القيامة^(٨).

(١) معاني القرآن للنحاس ٤٩٩/٣.

(٢) النكت والعيون ١١٣/٣ عن عكرمة، وأخرجه عن ابن عباس الطبري ٥٤١/١٣.

(٣) في (د) و(ز) و(م): قاله قتادة والحسن، والمثبت من (ظ)، وأخرجه الطبري ٥٤٣/١٣ من طريق قتادة عن الحسن.

(٤) أخرجه الطبري ٥٤٠/١٣، وأخرجه أيضاً عن عكرمة ومجاهد وابن أبي نجيح وسعيد بن جبير وقتادة.

(٥) أخرج عنهما الطبري ٥٤٠/١٣ - ٥٤٣.

(٦) في (م): وتخرج.

(٧) في (د) و(ز) و(م): ويأتي.

(٨) أخرجه الطبري ٥٤٤/١٣.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بُرْسُلِي مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۖ﴾ (٣٢) أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَظْهَرُ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۖ﴾ (٣٣) هُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ۖ﴾ (٣٤)

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بُرْسُلِي مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ﴾ تقدم معنى الاستهزاء في «البقرة»، ومعنى الإملاء في «آل عمران»^(١). أي: سخر بهم، وأزري عليهم، فأمهلت الكافرين مدة ليؤمن من كان في علمي أنه يؤمن منهم، فلما حق القضاء أخذتهم بالعقوبة. ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ أي: فكيف رأيت ما صنعت بهم، فكذلك أصنع بمشركي قومك.

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ ليس هذا القيام القيام الذي هو ضد القعود، بل هو بمعنى: التولي لأمر الخلق، كما يقال: قام فلان بشغل كذا. فالله^(٢) قائم على كل نفس بما كسبت، أي: يُقَدِّرُهَا على الكسب، ويخلقها ويرزقها ويحفظها ويجازيها على عملها، فالمعنى: أنه حافظ لا يغفل، والجواب محذوف، والمعنى: أفمن هو حافظ لا يغفل؟ كمن يغفل؟

وقيل: «أَفَمَنْ هُوَ قائمٌ» أي: عالم؛ قاله الأعمش^(٣). قال الشاعر:

فلولا رجال من قريش أعزّة سرقتم ثياب البيت والله قائم^(٤)

(١) في البقرة ١/٣١٤، وفي آل عمران ٥/٤٣٢.

(٢) في (م): فإنه.

(٣) في (ظ): الأخفش، وذكر هذا القول الماوردي في النكت والعيون ٣/١١٤ دون نسبة.

(٤) النكت والعيون ٣/١١٤ دون نسبة، وهو في الشعر والشعراء ٢/٦٤٦، وأمالى اليزيدي ص ٩٦ عن

خداش بن زهير برواية: والبيت قائم. وفي الشعر والشعراء: من علي، بدل: من قريش؛ قال ابن قتيبة: يقال لبني كنانة بنو علي.

أي: عالم؛ فالله عالمٌ بكسب كل نفس.

وقيل: المراد بذلك الملائكة الموكّلون ببني آدم؛ عن الضحاك^(١).

﴿وَجَعَلُوا﴾ حال، أي: وقد^(٢) جعلوا، أو عطفت على «اسْتَهْزِئْ» أي: استهزؤوا وجعلوا، أي: سَمَّوْا ﴿لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ يعني أصناماً جعلوها آلهة ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ أي: قل لهم يا محمد: «سَمُّوهُمْ» أي: بيّنوا أسماءهم؛ على جهة التهديد^(٣)، أي: إنما يسمّون: اللَّات والعزرى ومناة وهبل.

﴿أَمْ تَتَّبِعُونَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾ «أم» استفهامٌ توبيخ، أي: أتتبعونه، وهو على التحقيق عطفت على استفهامٍ متقدّم في المعنى؛ لأن قوله: «سَمُّوهُمْ» معناه: ألهم أسماء الخالقين ﴿أَمْ تَتَّبِعُونَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾؟.

وقيل: المعنى قل لهم: أتتبعون الله بباطنٍ لا يعلمه، أم بظاهرٍ^(٤) يعلمه؟ فإن قالوا: بباطنٍ لا يعلمه؛ أحوالوا^(٥)، وإن قالوا: بظاهر يعلمه؛ فقل لهم: سَمُّوهُمْ، فإذا سَمَّوهُمْ اللَّات والعزرى، فقل لهم: إن الله لا يعلم لنفسه شريكاً.

وقيل: ﴿أَمْ تَتَّبِعُونَ﴾ عطفت على قوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ﴾ أي: أفمن هو قائم، أم تتبّتون الله بما لا يعلم، أي: أنتم تدعون لله شريكاً، والله لا يعلم لنفسه شريكاً، أفَتتبعونه بشريكٍ له في الأرض وهو لا يعلمه! وإنما خصّ الأرض بنفي الشريك عنها وإن لم يكن له شريك في غير الأرض؛ لأنهم ادّعوا له شركاء في الأرض.

(١) النكت والعيون ١١٤/٣.

(٢) في (د) و(ز): قد، وفي (م): أو قد، والمثبت من (ظ).

(٣) ينظر النكت والعيون ١١٤/٣، وتفسير الرازي ٥٦/١٩، قال الرازي: فكانه تعالى قال: سَمُّوهُمْ بالآلهة، على سبيل التهديد، والمعنى: سواء سمّيتوهم بهذا الاسم أو لم تسمّوهم به فإنها في الحقارة بحيث لا تستحق أن يلتفت العاقل إليها.

(٤) بعدها في (م): من القول.

(٥) أحوال: أتى بالمحال وتكلم به. معجم متن اللغة (حول).

ومعنى: ﴿أَمْ يَظْهَرُ مِنَ الْقَوْلِ﴾ أي: أم بظن من القول؛ عن مجاهد^(١). وقيل: أم بظاهر من القول^(٢) الذي أنزل الله على أنبيائه. وقال قتادة: معناه: أم^(٣) بباطل من القول؛ ومنه قول الشاعر:

أَعْيَرْتَنَا أَلْبَانَهَا وَلُحُومَهَا وَذَلِكَ عَارٍ يَا ابْنَ رَيْطَةَ ظَاهِرُ^(٤)

أي: باطل. وقال الضحّاك: بكذب من القول. ويحتمل خامساً: أن يكون الظاهر من القول حجةً يُظهرونها بقولهم، ويكون معنى الكلام: أنْخبرونه بذلك مُشاهدين، أم تقولون محتجّين^(٥).

﴿بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ أي: دع هذا! بل زَيْن للذين كفروا مكرهم؛ قيل: استدراك على هذا الوجه، أي: ليس لله شريك، لكن زَيْن للذين كفروا مكرهم.

وقرأ ابن عباس ومجاهد: ﴿بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ﴾^(٦) مُسَمَّى الفاعل. وعلى قراءة الجماعة، فالذي زَيْن للكافرين مكرهم الله تعالى، وقيل: الشيطان. ويجوز أن يُسَمَّى الكفر مكرّاً؛ لأنّ مكرهم بالرسول كان كفرّاً.

﴿وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ أي: صدّهم الله، وهي قراءة حمزة والكسائي^(٧). الباقيون بالفتح، أي: صدّوا غيرهم، واختاره أبو حاتم، اعتباراً بقوله: ﴿وَصَدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحج: ٢٥]، وقوله: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾

(١) أخرجه الطبري ٥٤٩/١٣، وهو في تفسير مجاهد ٣٢٩/١.

(٢) من قوله: أي أم بظن، إلى هذا الموضع من (ظ).

(٣) قوله: أم، من (ظ)، والخبر أخرجه الطبري ٥٤٩/١٣، وذكره الماوردي في النكت والعيون ١١٤/٣.

(٤) قاله سُبْرَةُ بن عمرو الفُقْعَسِي، كما في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢٣٨/١، والخزانة ٥٠٤/٩ وهو في النكت والعيون ١١٤/٣ بلا نسبة. ويخاطب الشاعر ضمرة بن ضمرة النهشلي وقد عبّر عنه كثرة إبله، كما ذكر المرزوقي.

(٥) النكت والعيون ١١٥/٣.

(٦) القراءات الشاذة ص ٦٧.

(٧) وقرأ بها أيضاً من السبعة عاصم. السبعة ص ٣٥٩، والتيسير ص ١٣٣.

[الفتح: ٢٥]. وقراءة الضم أيضاً حسنة في «زَيْن» و«صُدُوا»؛ لأنه معلوم أن الله فاعل ذلك في مذهب أهل السنة، فيه إثبات القدر، وهو اختيار أبي عبيد.

وقرأ يحيى بن وثاب وعلقمة: «وَصِدُوا» بكسر الصاد^(١)، وكذلك: «هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رَدَّتْ إِلَيْنَا» [يوسف: ٦٥]، بكسر الراء وهي^(٢) أيضاً على ما لم يُسم فاعله، وأصلهما: صَدِدُوا وَرُدَّتْ، فلما أُدغمت الدال الأولى في الثانية نُقِلَتْ حركتها إلى^(٣) ما قَبْلَهَا فانكسر^(٤).

﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ﴾ بخذلانه. ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ أي: موفق، وفي هذا إثبات قراءة الكوفيين وَمَنْ تَابَعَهُمْ؛ لقوله: ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ﴾، فكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَصُدُوا﴾.

ومعظمُ القراء يقفون على الدال من غير الياء، وكذلك ﴿وَالِي﴾ [الآية: ١١] و﴿وَاقٍ﴾ [الآية: ٣٤-٣٧]^(٥)؛ لأنك تقول في الرجل: هذا قاضي ووالٍ وهادٍ، فتحذف الياء لسكونها والتقاءها مع التنوين.

وَقُرئ: ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادِي﴾ و﴿وَالِي﴾ و﴿وَاقِي﴾ بالياء؛ وهو على لغة مَنْ يقول: هذا داعي ووالي وواقي، بالياء؛ لأن حذف الياء في حالة الوصل لالتقاءها مع التنوين، وقد أمِنَّا هذا في الوقف، فَرُدَّت الياء، فصار: هادي ووالي وواقي^(٦). وقال الخليل^(٧) في نداء قاضٍ: يا قاضي، بإثبات الياء؛ إذ لا تنوين مع النداء، كما لا تنوين في نحو: الداعي والمُتعالى.

(١) القراءات الشاذة ص ٦٧، وإعراب القرآن للنحاس ٣٥٨/٢ كلاهما عن يحيى بن وثاب وحده.

(٢) قوله: وهي، من (ز) و(ظ) و(ف)، والقراءة في المحاسب ٣٤٥/١.

(٣) في (د) و(ز) و(ف) و(م): على.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣٥٨/٢.

(٥) وهي قراءة السبعة ما عدا ابن كثير، فقد قرأ بها بالتنوين في الوصل، فإذا وقف وقف بالياء. السبعة ص ٣٦٠، والتيسير ص ١٣٣.

(٦) الكشف عن وجوه القراءات ٢١/٢. وقال مكي: والحذف والإثبات لغتان للعرب، والحذف أكثر.

(٧) قوله في الكتاب ١٨٤/٤.

قوله تعالى: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: للمشركين الصادقين، بالقتل والسبي والإسار^(١)، وغير ذلك من الأسقام والمصائب ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ أي: أشد؛ من قولك: شقَّ عليّ كذا يشقُّ. ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ أي: مانع يمنعهم من عذابه ولا دافع. و«مين» زائدة.

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ (٣٥)

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾ اختلف النحاة في رفع «مثل»، فقال سيبويه: ارتفع بالابتداء والخبر محذوف، والتقدير: وفيما يتلى عليكم مثل الجنة^(٢).

وقال الخليل: ارتفع بالابتداء، وخبره: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: صفة الجنة التي وُعد المتقون تجري من تحتها الأنهار^(٣)، كقولك: قولي يقوم زيد، فقولي مبتدأ، ويقوم زيد خبره، والمثل بمعنى الصفة موجود؛ قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهم فِي الْإِنْجِيلِ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠] أي: الصفة العليا. وأنكره أبو علي وقال: لم يُسمع مثل بمعنى الصفة، إنما معناه الشبه، ألا تراه يجري مجراه في مواضعه ومتصرفاته، كقولهم: مررت برجل مثلك؛ كما تقول: مررت برجل شبيهك. قال: ويُفسد أيضاً من جهة المعنى؛ لأن مثلاً إذا كان معناه صفة، كان تقدير الكلام: صفة الجنة التي فيها أنهار، وذلك غير مستقيم؛ لأن الأنهار في الجنة نفسها لا صفتها.

وقال الزجاج^(٤): مَثَلُ الله عزَّ وجلَّ لنا ما غاب عنا بما نراه، والمعنى: مَثَلُ

(١) في (ظ): والأسر.

(٢) الكتاب ١/١٤٣، ومعاني القرآن للزجاج ٣/١٤٩، والكشف عن وجوه القراءات ١/٣٩٨، وعنه نقل المصنف. واختاره أبو علي الفارسي كما في مجمع البيان ١٣/١٨٢.

(٣) معاني القرآن للنحاس ٣/٥٠١، وذكر الزجاج في معاني القرآن ٣/١٤٩ هذا القول دون نسبة إثر قول سيبويه، ثم قال: وكلا القولين حسن جميل.

(٤) في معاني القرآن ٣/١٥٠، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في معاني القرآن ٣/٥٠١، وما سيرد بين حاصرتين منهما.

الجنة [التي وُعد المتقون] جَنَّةٌ تجري من تحتها الأنهار. وأنكره أبو عليّ فقال: لا يخلو المَثَل على قوله أن يكون الصفة أو الشَّبه، وفي كلا الوجهين لا يصحُّ ما قاله؛ لأنه إذا كان بمعنى الصفة لم يصحَّ؛ لأنك إذا قلت: صفةُ الجنة جَنَّةٌ، فجعلت «جنةً»^(١) خبراً لم يَسْتَقِم ذلك؛ لأنَّ الجنة لا تكون الصفة^(٢)، وكذلك أيضاً: شَبهُ الجنة جنة، ألا ترى أنَّ الشَّبه عبارةٌ عن المماثلة التي بين المتماثلين، وهو حَدَث، والجنةُ غيرُ حَدَث، فلا يكون الأول الثاني^(٣).

وقال الفراء: المَثَل مُقَحَّم للتأكيد، والمعنى: الجنة التي وُعد المتقون تجري من تحتها الأنهار، والعرب تفعل ذلك كثيراً بالمَثَل والمِثْل^(٤)، كقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] أي: ليس كهو شيء^(٥).

وقيل: التقدير: صفةُ الجنة التي وُعد المتقون صفةُ جَنَّةٍ تجري مِنْ تَحْتِهَا الأنهارُ. وقيل: معناه: شَبهُ الجنة التي وُعد المتقون في الحُسْن والنعمة والخلود كشَبهِ النار في العذاب والشدة والخلود؛ قاله مقاتل.

﴿أَكُلُوهَا ذَائِرٌ﴾ لا ينقطع، وفي الخبر: «إذا أخذت ثمرةً عادت مكانها أخرى»، وقد بيَّنناه في «التذكرة»^(٦). ﴿وَزُلْهَا﴾ أي: وظلُّها كذلك، فحذف، أي: ثمرها لا ينقطع وظلُّها لا يزول، وهذا ردٌّ على الجَهْمِيَّة في زعمهم أن نعيم الجنة يزول

(١) في (م): الجنة.

(٢) في (ظ): صفة.

(٣) ينظر البحر المحيط ٣٩٦/٥، والدر المصون ٥٩/٧.

(٤) قوله: والمثل، من (د) و(ز) و(ف)، وهو موافق لما في البحر ٣٩٦/٥، والكلام فيه.

(٥) في (د) و(ز) و(م): ليس هو كشيء، والمنبث من (ظ) و(ف) والبحر. وذكر الكلام بنحوه عن الفراء مكى في مشكل إعراب القرآن ٣٩٨/١ - ٣٩٩. قال أبو حيان: وإقحام الأسماء لا يجوز.

(٦) ص ٤٥٢، وأخرجه ابن أبي شيبه ٩٧/١٣، والطبري ٤٠٦/١ - ٤٠٧، وأبو نعيم في صفة الجنة (٣١٥) من طريق أبي عبيدة عن مسروق. وأخرجه ابن المبارك في الزهد (١٤٨٩) و(١٤٩٠)، وهناد في الزهد (١٠٣)، والطبري ٤٠٩/١ عن أبي عبيدة، وهو عامر بن عبد الله بن مسعود.

ويبنى^(١). ﴿تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ أي: عاقبة أمر المكذبين وأخرتهم النار يدخلونها.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَبَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَخْزَابِ مَنْ يُكْرِ بِعَظْمٍ قُلْ إِنَّمَا أُنْزِلَتْ أَنْ أَعْبَدَ اللَّهَ وَلَا أَشْرِكُ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَقَابِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَبَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ أي: بعض من أوتي الكتاب يفرح بالقرآن، كابن سلام وسلمان، والذين جاؤوا من الحبشة، فاللفظ عام والمراد بالخصوص. وقال قتادة: هم أصحاب محمد ﷺ يفرحون بنور القرآن. وقاله مجاهد وابن زيد^(٢). وعن مجاهد أيضاً: أنهم مؤمنو أهل الكتاب^(٣). وقيل: هم جماعة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، يفرحون بنزول القرآن لتصديقه كتبهم^(٤).

وقال أكثر العلماء: كان ذكر الرحمن في القرآن قليلاً في أول ما أنزل، فلما أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه؛ ساءهم قلة ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة ذكره في التوراة، فسألوا النبي ﷺ عن ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠]، فقالت قريش: ما بال محمد يدعو إلى إله واحد، فأصبح اليوم يدعو إلى^(٥) إلهين؛ الله والرحمن؟! والله ما نعرف الرحمن إلا رحمان اليمامة - يعنون مسيئمة الكذاب - فنزلت: ﴿وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ

(١) تفسير البغوي ٢١/٣.

(٢) النكت والعيون ١١٦/٣ عن قتادة وابن زيد، وأخرج قول قتادة الطبري ٥٥٦/١٣.

(٣) النكت والعيون ١١٦/٣.

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون ١١٦/٣ عن ابن عيسى. قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٣١٦/٣: ويضعف هذا التأويل بأنهم به أكثر من فرحهم، ويضعف أيضاً بأن اليهود والنصارى ينكرون بعضه، وقد فرق الله في هذه الآية بين الذين ينكرون بعضه، وبين الذين آتيناهم الكتاب.

(٥) قوله: إلى، من (ظ).

كَفَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٦]، ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد: ٣٠]، ففرح مؤمنو أهل الكتاب بذكر الرحمن، فأنزل الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَبَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾^(١).

﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾ يعني مشركي مكة، ومن لم يؤمن من اليهود والنصارى؛ قال قتادة والحسن ومجاهد: الأحزاب: الأحزاب: اليهود والنصارى^(٢) والمجوس. وقيل: هم العرب المتحزبون على النبي ﷺ. وقيل: ومن أعداء المسلمين من ينكر بعض ما في القرآن؛ لأنَّ فيهم من كان يعترف ببعض الأنبياء، وفيهم من كان يعترف بأن الله خالق السماوات والأرض.

﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ﴾ قراءة الجماعة بالنصب عطفاً على «أَعْبُدَ». وقرأ أبو خلود^(٣) بالرفع على الاستئناف، أي: أفرِّده بالعبادة وحده لا شريك له، وأتبرأ عن المشركين ومن قال: المسيح ابنُ الله وعزيرُ ابنِ الله، ومن اعتقد التشبيه كاليهود. ﴿إِلَيْهِ أَدْعُوا﴾ أي: إلى عبادته أَدْعُو الناس ﴿وَلِئْلِهِ مَتَابٌ﴾ أي: أرجع في أموري كلها.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أُنْزِلَتْ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلِئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنْ أَمْرِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾^(٤)

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أُنْزِلَتْ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ أي: وكما أنزلنا عليك القرآن فأنكره بعض الأحزاب، كذلك أنزلناه حكماً عربياً، وإنما وصفه بذلك لأنه أنزله على محمد ﷺ،

(١) الوسيط ١٨/٣، وتفسير البغوي ١٩/٣ و ٢٢، وينظر ما سلف ٣١٨/٩.

(٢) قوله: قال قتادة والحسن ومجاهد الأحزاب اليهود والنصارى، من (ظ)، وذكر قولهم الطبرسي في مجمع البيان ١٨٢/١٣ - ١٨٣.

(٣) في (د) و(م): أبو خالد، وفي (ظ): أبو جليد، والمثبت من (ز) و(ف) والكشاف ٣٦٢/٢ وفيه ذكر القراءة. وأبو خلود هو عتبة بن حماد الحكمي الدمشقي، روى القراءة عن نافع وله عنه نسخة. طبقات القراء ٤٩٨/١. وذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٦٧، وتحرف فيه: خلود، إلى خليل.

وهو عربي، فكذب الأحزاب بهذا الحكم أيضاً. وقيل: نَظُمُ الآية: وكما أنزلنا الكتب على الرُّسُل بلغاتهم، كذلك أنزلنا إليك القرآن حُكْماً عربياً^(١)، أي: بلسان العرب. ويريد بالحكم: ما فيه من الأحكام. وقيل: أراد بالحكم العربي القرآن كله؛ لأنه يفصل بين الحق والباطل ويحكم.

﴿وَلَيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: أهواء المشركين في عبادة ما دون الله، وفي التوجه^(٢) إلى غير الكعبة ﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ أي: ناصر ينصرك ﴿وَلَا وَاقٍ﴾ يمنعك من عذابه، والخطاب للنبي ﷺ، والمراد الأمة.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِطَايِفَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قيل: إن اليهود عابوا على النبي ﷺ الأزواج، وعيَّره^(٣) بذلك وقالوا: ما نرى لهذا الرجل همّة إلا النساء والنكاح، ولو كان نبياً لشغله أمر النبوة عن النساء، فأنزل الله هذه الآية^(٤)، وذكرهم أمر داود وسليمان فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ أي: جعلناهم بشراً يقضون ما أحلَّ الله من شهوات الدنيا، وإنما التخصيص في الوحي.

الثانية: هذه الآية تدلُّ على الترغيب في النكاح والحض عليه، وتنهى عن التَّبَتُّل، وهو ترك النكاح، وهذه سنة المرسلين كما نصَّت عليه هذه الآية، والسنة واردة بمعناها؛ قال ﷺ: «تَزَوَّجُوا، فَإِنِّي مُكَاثِرٌ»^(٥) بكم الأمم الحديث. وقد تقدَّم في «آل

(١) تفسير البغوي ٢٢/٣.

(٢) في (م): التوجيه.

(٣) في (ظ): وعيروه.

(٤) أسباب النزول للواحدي ص ٢٧٩ عن الكلبي.

(٥) في (ظ): مباه.

عمران^(١)، وقال: «مَنْ تَزَوَّجَ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ نِصْفَ الدِّينِ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِي النِّصْفِ الثَّانِي^(٢)». ومعنى ذلك أَنَّ النِّكَاحَ يُعِيفُ عَنِ الزَّنى، وَالْعَفَافُ أَحَدُ^(٣) الْحَاضِلَتَيْنِ اللَّتَيْنِ ضَمِنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمَا الْجَنَّةَ، فَقَالَ: «مَنْ وَقَاهُ اللَّهُ شَرَّ اثْنَتَيْنِ وَلَجَّ الْجَنَّةَ، مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ» خَرَّجَهُ «الموطأ» وغيره^(٤).

وفي «صحيح» البخاري^(٥) عن أنس قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَهُمْ تَقَالُوهَا فَقَالُوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟! قد غفر الله له ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. فقال أحدهم: أمَّا أنا، فإنِّي أَصْلِي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ الْآخَرُ: أَنَا^(٦) أَصُومُ الدَّهْرَ، فَلَا أَفْطِرُ. وَقَالَ الْآخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ^(٧) فَقَالَ: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَخْشَاكُمُ لِلَّهِ وَاتَّقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ، وَأَصْلِي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنِ سِتِّي فَلَيْسَ مِنِّي». خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ بِمَعْنَاهُ^(٨)، وَهَذَا أَتَيْنَ.

وفي «صحيح» مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال: أراد عثمان أن يتبتَّلَ، فنهاه

(١) ١١٠/٥ - ١١١ من حديث عائشة ومعدل بن يسار رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧٦٤٣) و(٨٧٨٩)، والبيهقي في الشعب (٥٤٨٦)، والخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق ٦٨/٢، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١٠٠٥) عن أنس ؓ. وأخرجه الحاكم ١٦١/٢ بلفظ: «مَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ امْرَأَةً صَالِحَةً فَقَدْ أَعَانَهُ عَلَى شَطْرِ دِينِهِ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِي الشَّطْرِ الثَّانِي». وينظر التلخيص الحبير ١١٧/٣، وفيض القدير ١٣٧/٦.

(٣) في (ظ): إحدى.

(٤) الموطأ ٩٨٧/٢ - ٩٨٨ عن عطاء بن يسار عن النبي ﷺ مرسلًا، وأخرجه أحمد (٢٣٠٦٥) عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ عن النبي ﷺ مطولًا. ويشهد له حديث سهل بن سعد ؓ عند أحمد (٢٢٨٢٣)، والبخاري (٦٤٧٤)، ولفظه عند البخاري: «مَنْ يَضْمَنُ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنَ لَهُ الْجَنَّةَ».

(٥) برقم (٥٠٦٣). وسلف ١١٦/٨.

(٦) في (ظ): أما أنا، وفي (ف) و(م): إني، والمثبت من (د) و(ز) وصحيح البخاري.

(٧) بعدها في (ف) و(م): إليهم.

(٨) صحيح مسلم (١٤٠١).

النبي ﷺ، ولو أجاز له ذلك لا خَتَصِينَا^(١). وقد تقدّم في «آل عمران»^(٢) الحضُّ على طلب الولد، والردُّ على مَنْ جَهِل ذلك.

وقد رُوِيَ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يقول: إني لأتزوَّج المرأة وما لي فيها من حاجة، وأطوُّها وما أشتيها، فقليل له: وما يحملك على ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: حُبِّي أن يُخرج الله مني مَنْ يُكاثِر به النبي ﷺ النبيين يوم القيامة، وإنِّي سمعته يقول: «عليكم بالأبكار، فإنهنَّ أغْذِبَ^(٣) أفواهاً، وأحسنُ أخلاقاً، وأنتقُ أرحاماً، وإنِّي مُكاثِرُ بكم الأمم يوم القيامة»^(٤). يعني بقوله: «أنتقُ أرحاماً» أقْبَلُ للولد، ويقال للمرأة الكثيرة الولد: ناتيْق؛ لأنها ترمي بالأولاد رميّاً^(٥).

وخرَّج أبو داود^(٦) عن مَعْقِل بن يَسَار قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني أصبْتُ امرأة ذات حَسَبٍ وجمال، وإنَّها لا تَلِد، أفأتزوَّجُها؟ قال: «لا». ثم أتاه الثانية، فنهاه، ثم أتاه الثالثة، فقال: «تزوَّجوا الودود الولود، فإنِّي مُكاثِرُ بكم الأمم». صحَّحه أبو محمد عبد الحقّ^(٧) وحَسْبُكَ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ عاد الكلام إلى ما اقترحوا من الآيات مما^(٨) تقدّم ذكره في هذه السورة، فأنزل الله ذلك فيهم، وظاهرُ

(١) صحيح مسلم (١٤٠٢): (٨) وسلف ١١٠/٥ و ١١٧/٨، وعثمان المذكور: هو ابنُ مظعون.

(٢) ١١٠/٥.

(٣) في (ظ): أطيب.

(٤) لم نقف عليه بهذا اللفظ، وأخرج ابن أبي شيبة ٢١٦/٤ نحوه عن عمر موقوفاً وإسناده ضعيف لانقطاعه. وأخرجه مرفوعاً ابن ماجه (١٨٦١) من طريق عبد الرحمن بن سالم بن عتبة بن عويم بن ساعدة الأنصاري، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ. وهو حديث ضعيف لاضطراب إسناده، وجهالة عبد الرحمن ابن سالم كما ذكر الحافظ في الإصابة ٣٧٨/٦ - ٣٧٩، وينظر مصباح الزجاجة ٣٢٦/١ - ٣٢٧.

(٥) تهذيب اللغة ٦١/٩.

(٦) في سننه (٢٠٥٠)، وسلف ١١١/٥.

(٧) في الأحكام الصغرى ٦٠٦/٢.

(٨) المثبت من (ظ)، وفي غيرها: ما.

الكلام حَظَرٌ ومعناه النفي؛ لأنه لا يُحَظَرُ على أحدٍ ما لا يقدر عليه.

﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ أي: لكل أمرٍ قضاه الله كتابٌ عند الله؛ قاله الحسن^(١).
وقيل: فيه تقديم وتأخير، المعنى: لكل كتابٍ أجلٌ؛ قاله الفراء والضحاك^(٢)، أي:
لكل أمرٍ كتبه الله أجلٌ مؤقَّت، ووقتٌ معلوم، نظيره: ﴿لِكُلِّ نَبَلٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾
[الأنعام: ٦٧]. بيّن أن المراد ليس على اقتراح الأعم في نزول العذاب، بل لكل أجلٍ
كتاب^(٣). وقيل: المعنى: لكل مدة كتابٌ مكتوبٌ وأمرٌ مقدّر لا تقف عليه الملائكة.

وذكر الترمذي الحكيم في «نوادر الأصول» عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة
قال: لما ارتقى موسى صلوات الله عليه وسلامه طور سيناء، رأى الجبار في أصبعه
خاتماً، فقال: يا موسى ما هذا؟ وهو أعلم به، قال: شيءٌ من حُلِيِّ الرجال، قال:
فهل عليه شيءٌ من أسمائي مكتوبٌ أو كلامي؟ قال: لا، قال: فاكتب عليه ﴿لِكُلِّ
أَجَلٍ كِتَابٌ﴾^(٤).

قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ۖ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ ﴿٣٩﴾

قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ۖ﴾ أي: يمحو من ذلك الكتاب ما يشاء أن
يُوقِعَه بأهله ويأتي به، «ويُثَبِّتُ» ما يشاء، أي: يُؤَخِّرُه إلى وقته، يقال: محوْتُ الكتاب
مَحْوًا، أي: أذهبت أثره. «ويُثَبِّتُ» أي: ويُثَبِّتُه، كقوله: ﴿وَالذِّكْرَيْنَ اللَّهُ كَثِيرًا
وَالذِّكْرَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، أي: والذاكرات لله.

(١) ذكر الماوردي في النكت والعيون ١٧/٣ هذا القول عن الطبري، وذكر عن الحسن قوله: لكل أجل من
آجال الخلق كتابٌ عند الله.

(٢) أخرجه عن الضحاك الطبري ١٣/٥٥٨ - ٥٥٩، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٣/٥٥٩، وقول
الفراء في معاني القرآن له ٢/٦٥.

(٣) ينظر تفسير الرازي ١٩/٦٤. وقال الرازي: فالآيات التي سألوها لها وقتٌ معيّن حكّم الله به، وكتبه
في اللوح المحفوظ، فلا يتغير عن ذلك الحكم بسبب تحكّماتهم الفاسدة.

(٤) لم نقف عليه في المطبوع من نوادر الأصول، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/١١٨ له، وشهر بن
حوشب قال عنه الحافظ في التقریب: صدوق كثير الإرسال والأوهام.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم: ﴿وَرُئِبْتُ﴾ بالتخفيف، وشَدَّدَ الباقر^(١)، وهي قراءة ابن عباس^(٢)، واختيارُ أبي حاتم وأبي عبيد^(٣) لكثرة مَنْ قرأ بها، ولقوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وقال ابن عمر: سمعت النبي ﷺ يقول: «يمحو الله ما يشاء ويثبت، إِلَّا السَّعَادَةَ والشَّقَاوَةَ والموت»^(٤).

وقال ابن عباس: يمحو الله ما يشاء ويثبت إِلَّا سَتًّا^(٥): الْخُلُقُ وَالْخُلُقُ، والأجل والرزق، والسَّعَادَةُ والشَّقَاوَةُ^(٦). وعنه: هما كتابان؛ [كتاب] سوى أم الكتاب يمحو الله منه^(٧) ما يشاء ويثبت، وعنده أم الكتاب الذي لا يتغير منه شيء. قال القسيري: وقيل: السَّعَادَةُ والشَّقَاوَةُ، وَالْخُلُقُ وَالْخُلُقُ وَالرَّزَقُ، لا تتغير؛ فالآية فيما عدا هذه الأشياء. وفي هذا القول نوع تحكُّم.

قلت: مثلُ هذا لا يُدرَكُ بالرأي والاجتهاد، وإنما يُؤخذُ توقيفاً، فإنَّ صحَّ فالقولُ به يجب، ويُوقفُ عنده، وإلَّا فتكون الآية عامَّةً في جميع الأشياء، وهو الأظهر، والله أعلم؛ وهذا يُروى معناه عن عمر بن الخطاب ؓ وابن مسعود وأبي وائل وكعب

(١) السبعة ص ٣٥٩، والتيسير ص ١٣٤.

(٢) ذكرها عنه النحاس في معاني القرآن ٥٠٢/٣.

(٣) ذكر اختيار أبي عبيد النحاس في معاني القرآن ٥٠٣/٣، ومكي في الكشف عن وجوه القراءات ٢٣/٢، وقال النحاس: على أن أبا حاتم قد أوماً إلى أنَّ معناهما واحد.

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٩٤٦٨) وفيه: «...إِلَّا الشَّقَاوَةُ والسَّعَادَةُ والحياة والموت» بزيادة: «الحياة». قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤٣/٧: فيه محمد بن جابر اليمامي، وهو ضعيف من غير تعمُّد كذب.

(٥) في (م): إِلَّا أشياء.

(٦) لم نقف عليه بهذا اللفظ، وأخرجه عبد الرزاق في التفسير ٣٣٨/٢، وعبد الله بن أحمد في السنة (٧٣١)، والطبري ٥٥٩/١٣ بلفظ: «...إِلَّا الشَّقَاوَةُ والسَّعَادَةُ والحياة والموت».

(٧) في النسخ: منهما، والمثبت من تفسير البغوي ٢٣/٣، والكلام وما سلف بين حاصرتين منه، وأخرجه الطبري ٥٦٢/١٣، والحاكم ٣٤٩/٢، وذكره الواحدي في الوسيط ٢٠/٣، وابن الجوزي ٣٣٩/٤.

الأحبار وغيرهم، وهو قول الكلبي.

وعن أبي عثمان التَّهْدِي: أَنَّ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ؓ كَانَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَهُوَ يَبْكِي وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ كَتَبْتَنِي فِي أَهْلِ السَّعَادَةِ فَأُثْبِتْنِي فِيهَا، وَإِنْ كُنْتُ كَتَبْتَنِي فِي أَهْلِ الشَّقَاوَةِ وَالذَّنْبِ، فَاْمُحْنِي وَأُثْبِتْنِي فِي أَهْلِ السَّعَادَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، فَإِنَّكَ تَمْحُو مَا تَشَاءُ وَتُثْبِتُ، وَعِنْدَكَ أُمُّ الْكِتَابِ^(١).

وقال ابن مسعود: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ كَتَبْتَنِي فِي السَّعَادَةِ فَأُثْبِتْنِي فِيهِمْ، وَإِنْ كُنْتُ كَتَبْتَنِي فِي الْأَشْقِيَاءِ، فَاْمُحْنِي مِنَ الْأَشْقِيَاءِ وَاكْتُبْنِي فِي السَّعَادَةِ، فَإِنَّكَ تَمْحُو مَا تَشَاءُ وَتُثْبِتُ، وَعِنْدَكَ أُمُّ الْكِتَابِ^(٢).

وكان أبو وائل يُكْثِرُ أَنْ يَدْعُو: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ كَتَبْتَنَا أَشْقِيَاءَ فَاْمُحْ وَاكْتُبْنَا سَعْدَاءَ، وَإِنْ كُنْتُ كَتَبْتَنَا سَعْدَاءَ فَأُثْبِتْنَا، فَإِنَّكَ تَمْحُو مَا تَشَاءُ وَتُثْبِتُ، وَعِنْدَكَ أُمُّ الْكِتَابِ^(٣).

وقال كعب لعمر بن الخطاب: لَوْلَا آيَةُ فِي كِتَابِ اللَّهِ، لَأَنْبَأْتُكَ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٤).

وقال مالك بن دينار في المرأة التي دعا لها: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ فِي بَطْنِهَا جَارِيَةٌ، فَأَبْدَلُهَا غُلَامًا، فَإِنَّكَ تَمْحُو مَا تَشَاءُ وَتُثْبِتُ، وَعِنْدَكَ أُمُّ الْكِتَابِ. وقد تقدَّم^(٥).

وفي^(٦) الصحيحين عن أبي هريرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُسَبِّطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»^(٧). ومثله عن أنس بن مالك، أَنَّ

(١) أخرجه الدولابي في الكنى ١/١٥٥، والطبري ١٣/٥٦٤.

(٢) أخرجه مطولاً ابن أبي شيبة ١٠/٣٣١ - ٣٣٢، ومقطعاً الطبري ١٣/٤٦٤ و ٤٦٥.

(٣) أخرجه عبد الرزاق ٣/٣٣٨، والطبري ١٣/٥٦٣.

(٤) أخرجه الطبري ١٣/٥٦٥، والنكارة فيه ظاهرة.

(٥) ص ٢١ من هذا الجزء.

(٦) في (د) و(م): في.

(٧) صحيح البخاري (٥٩٨٥)، ولم نقف عليه عند مسلم، وسلف ١٠/٢٠٢.

رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ»، فذكره بلفظه سواء^(١)، وفيه تأويلان:

أحدهما: معنوي، وهو ما يبقى بعده من الشاء الجميل والذكر الحسن، والأجر المتكرر، فكأنه لم يمت.

والآخر: يؤخر أجله المكتوب في اللوح المحفوظ، والذي في علم الله ثابت لا تبدل^(٢) له، كما قال: ﴿يَمَحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾.

وقيل لابن عباس لما رَوَى الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُمَدَّ اللَّهُ فِي عَمْرِهِ وَأَجَلِهِ، وَيَبْسُطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، فليَتَّقِ اللَّهَ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»: كيف يُزَاد في العمر والأجل؟ فقال: قال الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ [الأنعام: ٢]، فالأجل الأول أجل العبد من حين ولادته إلى حين موته، والأجل الثاني - يعني المُسَمًّى عنده - من حين وفاته إلى يوم يلقاه في البرزخ، لا يعلمه إلا الله، فإذا اتقى العبد ربه وَوَصَلَ رَحِمَهُ، زاده الله في أجل عمره الأول من أجل البرزخ ما شاء، وإذا عصى وَقَطَعَ رَحِمَهُ، نَقَصَهُ الله من أجل عمره في الدنيا^(٣) ما شاء، فيزيده في أجل البرزخ، فإذا تحتمَّ الأجل في علمه السابق، امتنع الزيادة والنقصان؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(٤) [النحل: ٦١]. فتوافق الخبر والآية. وهذه زيادة في نفس العمر وذات الأجل على ظاهر اللفظ، في اختيار خبر الأمة، والله أعلم.

وقال مجاهد: يُحْكِمُ الله أَمْرَ السَّنَةِ في رمضان، فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء، إِلَّا الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ، وَالشَّقَاءَ وَالسَّعَادَةَ^(٥)؛ وقد مضى القول فيه.

(١) صحيح البخاري (٥٩٨٦)، وصحيح مسلم (٢٥٥٧): (٢١)، وهو عند أحمد (١٣٥٨٥).

(٢) في النسخ عدا (ظ): لا تبدل، والمثبت من (ظ)، والمفهم ٥٢٨/٦، والكلام منه.

(٣) في (ظ): نقص الله من أجله في الدنيا.

(٤) أخرج المرفوع منه البزار (١٨٨٠ - كشف)، وفي أوله: «في التوراة مكتوب من أحب...». والطبراني في الكبير (١١٨٢٢)، ولم نقف على باقي الخبر، وذكر معناه ابن حجر في الفتح ٣٠٢/٤ عن الحكيم الترمذي وقال: أغرب الحكيم الترمذي فقال: المراد بذلك قلة البقاء في البرزخ.

(٥) أخرجه الطبري ٥٦١/١٣ - ٥٦٢ بنحوه، وفيه: يقضى في ليلة القدر...

وقال الضحاك: يمحو الله ما يشاء من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب، ويثبت ما فيه ثواب وعقاب؛ وروى معناه أبو صالح عن ابن عباس^(١).

وقال الكلبي: يمحو من الرزق ويزيد فيه، ويمحو من الأجل ويزيد فيه، ورواه عن النبي ﷺ^(٢). ثم سئل الكلبي عن هذه الآية فقال: يكتب القول كله، حتى إذا كان يوم الخميس، طرح منه كل شيء ليس فيه ثواب ولا عقاب^(٣)، مثل قولك: أكلت وشربت ودخلت وخرجت ونحوه، وهو صادق، ويثبت ما فيه الثواب والعقاب^(٤).

وقال قتادة وابن زيد وسعيد بن جبير: يمحو الله ما يشاء من الشرائع والفرائض^(٥)، فينسخه ويبدله، ويثبت ما يشاء فلا ينسخه، وجمله الناسخ والمنسوخ عنده في أم الكتاب. ونحوه ذكره النحاس والمهدوي عن ابن عباس؛ قال النحاس: وحدَّثنا بكر بن سهل، قال: حدَّثنا أبو صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ يقول: يُبَدِّلُ الله من القرآن ما يشاء فينسخه، ﴿وَرَبِّتْ﴾ ما يشاء فلا يبدله، ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ يقول: جملة ذلك عنده في أم الكتاب؛ الناسخ والمنسوخ^(٦).

(١) النكت والعيون ١١٨/٣، وزاد المسير ٣٣٨/٤.

(٢) ذكره النحاس في معاني القرآن ٥٠٢/٣. وأخرجه الطبري ٥٦٦/١٣ أيضاً عن أبي صالح قوله، وذكره عنه الحافظ في الفتح ٣٠٩/١١ بنحوه وقال: وهذا لو ثبت كان نصاً في ذلك، ولكنه من رواية الكلبي، وهو ضعيف جداً.

(٣) أخرجه ابن سعد ٥٧٤/٣، والطبري ٥٦٥/١٣ - ٥٦٦، وابن عدي ٢١٣١/٦ من طريق الكلبي عن أبي صالح، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعاً، وهذا إسناد ضعيف جداً.

(٤) أخرجه الطبري ٥٦٦/١٣.

(٥) في (د) و(ز) و(م): من الفرائض والنوافل، والمثبت من (ظ) و(ف) وتفسير البغوي، والكلام منه، وأخرجه عن قتادة وابن زيد الطبري ٥٦٧/١٣.

(٦) معاني القرآن للنحاس ٥٠٢/٣ - ٥٠٣، وأخرجه أيضاً أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ (٤)، والطبري ٥٦٦/١٣ عن أبي صالح به.

وقال سعيد بن جُبَيْر أيضاً: يغفر ما يشاء من^(١) ذنوب عباده، ويترك ما يشاء، فلا يغفره.

وقال عكرمة: يمحو ما يشاء - يعني بالتوبة - جميع الذنوب، وَثُبِتَ بَدَلُ الذنوب حسناتٍ [كما قال الله تعالى]: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الفرقان: ٧٠] الآية^(٢).

وقال الحسن: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ مَنْ جَاءَ أَجْلُهُ، ﴿وَيُثَبِّتُ﴾ مَنْ لَمْ يَأْتِ أَجْلُهُ^(٣). وعنه أيضاً^(٤): يمحو الآباء، وَثُبِتَ الأبناء. وعنه أيضاً: يُنْسِي الحَفْظَةَ من الذنوب ولا يُنْسِي.

وقال السدِّي: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ يعني: القمر، ﴿وَيُثَبِّتُ﴾ يعني: الشمس، بيانه قوله: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ آلِ لُوطٍ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢].

وقال الربيع بن أنس: هذا في الأرواح حالة النوم يقبضها؛ مَنْ أَرَادَ^(٥) موته فجأة أمسكه^(٦)، وَمَنْ أَرَادَ بقاءه أثبته وردّه إلى صاحبه، بيانه قوله: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ الآية [الزمر: ٤٢].

وقال علي بن أبي طالب: يمحو الله ما يشاء من القرون، كقوله: أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ [يس: ٣١]، وَثُبِتَ ما يشاء منها، كقوله: ﴿فَرَأَوْا أَنَّ أَشْجَانًا مِنْ بَعْلِهِمْ

(١) قبلها في (م): يعني.

(٢) ذكر قول سعيد بن جبیر وعكرمة البغوي ٢٣/٣، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٣) أخرجه الطبري ٥٦٨/١٣.

(٤) في النسخ عدا (ظ): وقال الحسن، والمثبت من (ظ)؛ إلا أنها وقعت فيها بعد قول عكرمة ووقع قول الحسن فيها آخرًا، فيكون هذا القول وما بعده - على ما في نسخة (ظ) - منسوباً لعكرمة.

(٥) في النسخ عدا (ظ): يقبضها عند النوم ثم إذا أراد، والمثبت من (ظ). ووقع في تفسير البغوي ٢٣/٣: هذا في الأرواح يقبضها الله عند النوم فمن أراد...

(٦) في تفسير البغوي: محاه فأمسكه، بدل: فجأة أمسكه.

قَرَأْنَا مَا خَرِجَ ﴿٣٩﴾ [المؤمنون: ٣١]، فيمحو قَرْنًا، وَيُثَبِّت قَرْنًا^(١).

وقيل: هو الرجل يعمل الزمن الطويل بطاعة الله، ثم يعمل بمعصية الله فيموت على ضلاله، فهذا^(٢) الذي يمحو. والذي يُثَبِّت: الرجلُ يعمل بمعصية الله الزمان الطويل ثم يتوب، فيمحوه الله من ديوان السيئات، ويُثَبِّت في ديوان الحسنات؛ ذكره الثعلبي والماوردي عن ابن عباس^(٣).

وقيل: يمحو الله ما يشاء - يعني الدنيا - ويُثَبِّت الآخرة.

وقال قيس بن عباد في اليوم العاشر من رجب: هو اليوم الذي يمحو الله فيه ما يشاء، ويثبت ما يشاء؛ وقد تقدّم عن مجاهد أن ذلك يكون في رمضان^(٤).

وقال ابن عباس: إن لله لوحاً محفوظاً مسيرة خمس مئة عام، من دُرّة بيضاء لها دَفْتَان من ياقوتة حمراء، [والدَفْتَان لوحان]، لله فيه كل يوم ثلاث مئة وستون نظرة، يُثَبِّت ما يشاء، ويمحو ما يشاء^(٥).

وروى أبو الدرداء عن النبي ﷺ قال: «إن الله سبحانه يفتح الذُّكْر في ثلاث ساعات يَبْقَيْن من الليل، فينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه أحدٌ غيره، فيمحو ما يشاء، ويُثَبِّت ما يشاء»^(٦).

(١) لم نقف عليه.

(٢) في النسخ عدا (ظ): فهو، والمثبت من (ظ).

(٣) النكت والعيون ١١٨/٣، وأخرجه الطبري ٥٦٤/١٣ - ٥٦٥.

(٤) ص ٩٠ من هذا الجزء، وخبر قيس بن عباد أخرجه الطبري ٥٧١/١٣ من طريق رجل، عن أبيه، عن قيس به. وهذا إسناد ضعيف إلى قيس، ثم هو مقطوع عليه.

(٥) أخرجه الطبري ٥٧٠/١٣، وما سلف بين حاصرتين منه، وفيه: لحظة، بدل: نظرة.

(٦) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية ص ٣٢، والبخاري ٣٥١٦ - كشف والطبري ٥٧٠/١٣، والعقيلي في الضعفاء (٥٥٢)، والدارقطني في المؤلف والمختلف ١١٥١/٣ - ١١٥٢، وابن الجوزي في العلل (٢١) وقال: هذا الحديث من عمل زيادة بن محمد، لم يتابعه عليه أحد، قال البخاري: هو منكر الحديث. وقال ابن حبان: هو منكر الحديث جداً، يروي المناكير عن المشاهير فاستحق الترك.

والعقيدة أنه لا تبديل لقضاء الله، وهذا المحو والإثبات مما سبق به القضاء، وقد تقدّم أنّ من القضاء ما يكون واقعاً محتوماً، وهو الثابت، ومنه ما يكون مصروفاً بأسباب، وهو الممحو، والله أعلم.

الغزنوي: وعندي أنّ ما في اللوح خرج عن الغيب لإحاطة بعض الملائكة، فيحتمل التبديل؛ لأن إحاطة الخلق بجميع علم الله مُحالٌ، وما في علمه من تقدير الأشياء لا يُبدل.

﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾، أي: أصل ما كتب من الآجال وغيرها.

وقيل: أم الكتاب: اللوح المحفوظ الذي لا يُبدل ولا يُغيّر^(١). وقد قيل: إنه يجري فيه التبديل. وقيل: إنما يجري في الجرائد الأخر.

وسئل ابن عباس عن أم الكتاب فقال: [قال كعب:] عِلْمُ الله ما هو خالقٌ، وما خَلَقَهُ عَامِلُونَ، فقال لعلمه: كن كتاباً [فكان كتاباً]^(٢)، ولا تبديل في علم الله. وعنه: إنه الذُّكْر^(٣)، دليله قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وهذا يرجع معناه إلى الأوّل؛ وهو معنى قول كعب. قال كعبُ الأحبار: أم الكتاب: عِلْمُ الله تعالى بما خَلَقَ وبما هو خالق^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ۝٥٠ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝٥١﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ «ما» زائدة، والتقدير: وإن نُرِيَنَّكَ بعض

(١) تفسير البغوي ٢٣/٣.

(٢) أخرجه عبد الرزاق ٣٣٨/١، وما بين حاصرتين منه، وهو في تفسير الطبري بنحوه ٥٣٢/١٣.

(٣) أخرجه الطبري ٥٧٢/١٣ - ٥٧٣.

(٤) ذكره عن كعب بهذا اللفظ الماوردي في النكت والعيون ١١٨/٣.

الذي نَعِدُهُمْ، أي: من العذاب؛ لقوله: ﴿لَمَّا عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الرعد: ٣٤]، وقوله: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ﴾ [الرعد: ٣١]، أي: إن أريناك بعض ما وعدناهم ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ فليس عليك إلا البلاغ، أي: التبليغ ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ أي: الجزاء والعقوبة.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعني أهل مكة، ﴿أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ﴾ أي: نقصدها. ﴿نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ اختُلف فيه؛ فقال ابن عباس ومجاهد: ﴿نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ موتُ علمائها وصلحائها^(١). قال القُشيري: وعلى هذا فالأطرافُ الأشراف^(٢)، وقد قال ابن الأعرابي: الطَّرَفُ والطَّرْفُ الرجل الكريم. ولكنَّ هذا القول بعيد؛ لأنَّ مقصود الآية: أَنَّا أَرَيْنَاهُم النِّقْصَانَ في أمورهم، ليعلموا أَنَّ تأخير العقاب عنهم ليس عن عجز، إِلَّا أَن يُحْمَلَ قَوْلُ ابن عباس على موت أحبار اليهود والنصارى.

وقال مجاهد أيضاً وقتادة والحسن: هو ما يَغْلِبُ عليه المسلمون ممَّا في أيدي المشركين. ورُوي ذلك عن ابن عباس^(٣). وعنه أيضاً: هو خرابُ الأرض حتى يكون العمران في ناحية منها^(٤). وعن مجاهد: نُقْصَانُهَا: خَرَابُهَا وموتُ أهلها^(٥).

وذكر وكيع بن الجراح، عن طلحة بن عمرو^(٦)، عن عطاء بن أبي رباح في قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ قال: ذهبُ فقهاءها وخيارِ أهلها^(٧).

(١) أخرجه عن ابن عباس الطبري ٥٧٩/١٣، والحاكم ٣٥٠/٢ من طريق طلحة بن عمرو عن عطاء عن ابن عباس، وطلحة بن عمرو، قال عنه الحافظ في التقریب: متروك. وسيأتي تخريجه عن مجاهد.

(٢) وذكر هذا المعنى الأزهرى في تهذيب اللغة ٣٢٠/١٣.

(٣) أخرجه عن ابن عباس والحسن الطبري ٥٧٤/١٣ - ٥٧٥، وذكره عن قتادة الماوردي في النكت والعيون ١١٩/٣، ولفظ خبر ابن عباس عن الطبري: أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَفْتَحُ لِمَحْمَدِ الْأَرْضَ بَعْدَ الْأَرْضِ.

(٤) معاني القرآن للنحاس ٥٠٥/٣، وأخرجه الطبري ٥٧٦/١٣.

(٥) جامع بيان العلم (١٠٣٣)، وأخرجه الطبري ٥٧٦/١٣ - ٥٧٧، وهو في تفسير مجاهد ٣٣٠/١.

(٦) في (ظ): عمر، وفي باقي النسخ: عمير، والمثبت هو الصواب.

(٧) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١٠٣٠)، وقد سلف من طريق طلحة بن عمرو، عن عطاء، عن ابن عباس.

قال أبو عمر بن عبد البر^(١): قولُ عطاءٍ في تأويل الآية حسنٌ جداً، تلقَّاه أهل العلم بالقبول.

قلت: وحكاة المهدي عن مجاهد وابن عمر، وهذا نصُّ القول الأول نفسه^(٢)؛ روى سفيان، عن منصور، عن مجاهد: ﴿تَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَفَيْهَا﴾ قال: الموت^(٣)؛ موثُّ الفقهاء والعلماء^(٤). ومعروفٌ في اللغة أنَّ الطَّرْفَ: الكريمُ من كلِّ شيء^(٥)، وهذا خلافُ ما ارتضاه أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم من قول ابن عباس.

وقال عكرمة والشَّعْبِيُّ: هو النقصان وقبضُ الأنفس؛ قال أحدهما: ولو كانت الأرض تَنْقُصُ لضاق عليك حَشُّك. وقال الآخر: لضاق عليك حَشٌّ تَبَرَّزُ فيه^(٦).

قيل: المراد به هلاك مَنْ هَلَكَ من الأمم قبل قريش، وهلاكُ أرضهم بعدهم، والمعنى: أو لم تر قريشٌ هلاكَ مَنْ قَبْلَهُمْ، وخرابَ أرضهم بعدهم؟! أفلا يخافون أن يَحُلَّ بهم مثلُ ذلك. ورُويَ ذلك أيضاً عن ابن عباس ومجاهد وابن جُرَيْج. وعن ابن عباس أيضاً: أنه نقصُ بركات الأرض وثمارها وأهلها^(٧).

وقيل: نَقْصُهَا بِجَوْرٍ وَلَآئِهَا^(٨).

قلت: وهذا صحيحٌ معنًى، فإنَّ الجَوْرَ والظلمَ يُخَرِّبُ البلادَ بقتل أهلها

(١) في جامع بيان العلم إثر الخبر (١٠٣٤).

(٢) في (ظ): وهذا هو القول الأول بعينه.

(٣) قوله: الموت، من (ظ) وهو الموافق لما في المصادر على ما يأتي.

(٤) معاني القرآن للنحاس ٥٠٥/٣، وأخرجه عبد الرزاق ٣٣٩/١، وأخرجه من طريق آخر بنحوه الطبري ٥٧٩/١٣.

(٥) ذكر النحاس في إعراب القرآن ٣٦٠/٢ هذا المعنى عن عبد الله بن عبد العزيز.

(٦) جامع بيان العلم (١٠٣٢)، وأخرج قول الشعبي الطبري ٥٧٧/١٣ من طريق طلحة القنَّاد عن سمع الشعبي. وأخرج الطبري ٥٧٨/١٣ أيضاً قول عكرمة بنحوه. والحنس: الكنيف. معجم متن اللغة (حش).

(٧) أخرجه الطبري ٥٧٧/١٣.

(٨) النكت والعيون ١١٩/٣.

وانجلائهم^(١) عنها، وتُرفع من الأرض البركة، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ﴾ أي: ليس يتعقَّب حكمه أحدٌ بنقض^(٢) ولا تغيير. ﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أي: الانتقام من الكافرين، سريعُ الثواب للمؤمن. وقيل: لا يحتاج في حسابه إلى رويّة قلب، ولا عقْد بَنَان؛ حَسَبَ ما تقدّم في «البقرة» بَيّانه^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ عُقِيَ الدَّارِ ۖ﴾ ^(٤) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ۖ﴾ ^(٥)

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: من قَبْل مشركي مكة، مَكَرُوا بالرسول وكادوا لهم وكفروا بهم. ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ أي: هو مخلوق له مكرُ الماكرين، فلا يضرُّ إلا بإذنه^(٤). وقيل: فلله خيرُ المكر، أي: يجازيهم به^(٥). ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ من خير وشر، فيجازي عليه.

﴿وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ﴾ كذا قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو. والباقون: ﴿الْكَافَرُ﴾ على الجمع^(٦). وقيل: عني به أبو جهل^(٧). ﴿لِمَنْ عُقِيَ الدَّارِ﴾ أي: عاقبة دار الدنيا ثواباً وعقاباً، أو^(٨) لِمَنْ الثواب والعقاب في الدار الآخرة، وهذا تهديد ووعيد.

(١) في (ظ): وجلائهم.

(٢) في النسخ عدا (ظ): بنقص، والمثبت من (ظ) ومعاني القرآن للنحاس ٥٠٦/٣ والكلام منه.

(٣) ٣٥٩/٣ - ٣٦١.

(٤) الوجيز للواحدي (على هامش مراح لييد) ٣٣٤/١، وزاد المسير ٣٤١/٤.

(٥) ذكر الرازي ٦٨/١٩ هذا القول بلفظ: فلله جزاء المكر، وذلك لأنهم لما مكروا بالمؤمنين بيّن تعالى أنه يجازيهم على مكروهم. ووقع في (ظ): خير الماكرين.

(٦) السبعة ص ٣٥٩، والتيسير ص ١٣٤.

(٧) في (ظ): أبا جهل، وذكر الواحدي في الوسيط ٢١/٣ هذا القول عن ابن عباس.

(٨) في (د): و، وفي (ظ): أي.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ قال قتادة: هم مشركو العرب^(١)، أي: لست بنبي ولا رسول، وإنما أنت متقول، أي: لمّا لم يأتهم بما اقترحوا؛ قالوا ذلك. ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ﴾ أي: قل لهم يا محمد: ﴿كَفَى بِاللَّهِ﴾ أي: كفى الله ﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ بصدقي وكذبكم.

﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ وهذا احتجاج على مشركي العرب؛ لأنهم كانوا يرجعون إلى أهل الكتاب - مَنْ آمَنَ منهم - في التفاسير. وقيل: كانت شهادتهم قاطعة لقول الخصوم، وهم مؤمنو أهل الكتاب؛ كعبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، وتميم الداري، والنجاشي وأصحابه؛ قاله قتادة وسعيد بن جبير^(٢).

وروى الترمذي عن ابن أخي عبد الله بن سلام قال: لمّا أُريد^(٣) عثمان، جاء عبد الله بن سلام، فقال له عثمان: ما جاء بك؟ قال: جئت في نُصرتك. قال: أخرج إلى الناس فاطردهم عني، فإنك خارج خير لي منك^(٤) داخل. فخرج عبد الله بن سلام إلى الناس فقال: أيُّها الناس، إنه كان اسمي في الجاهلية فلان^(٥)، فسمّاني رسول الله ﷺ عبد الله، ونزلت في آيات من كتاب الله؛ نزلت في: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَقَامَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٠]، ونزلت في: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ الحديث^(٦).

(١) أخرجه الطبري ٥٨٣/١٣ .

(٢) أخرجه عن قتادة عبد الرزاق ٣٣٩/١ ، والطبري ٥٨٣/١٣ - ٥٨٤ . أما سعيد بن جبير فقد روي عنه عكس هذا القول على ما يأتي.

(٣) بعدها في (م): قتل.

(٤) في النسخ: من، والمثبت من سنن الترمذي.

(٥) في (ف): سفيان، وفي (ظ): فلانا، والمثبت من باقي النسخ وسنن الترمذي. قال المباركفوري في تحفة الأحوذى ١٣٨/٩ : الظاهر أن يكون فلاناً...، وأمّا الرفع فعلى أن في «كان» ضمير الشأن، و«اسمي» مبتدأ، وفلان خبره، والجملة خبر كان.

(٦) سنن الترمذي (٣٢٥٦). وابن أخي عبد الله بن سلام مجهول كما قال الحافظ في التقریب.

وقد كتبناه بكماله في كتاب «التذكرة»^(١). وقال فيه أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

وكان اسمه في الجاهلية حُصَيْن، فسَمَّاه النبي ﷺ عبد الله^(٢).

وقال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ هو عبد الله بن سَلَام؟ قال: وكيف يكون^(٣) عبد الله بن سَلَام وهذه السورة مكية، وابن سَلَام ما أسلم إلا بالمدينة؟! ذكره الثعلبي.

وقال القشيري: وقال ابن جبير: السورة مَكِّيَّة، وابن سَلَام أسلم بالمدينة بعد هذه السورة، فلا يجوز أن تُحمل هذه الآية على ابن سَلَام، فَمَنْ عنده علم الكتاب جبريل، وهو قول ابن عباس^(٤).

وقال الحسن ومجاهد والضَّحَّاك: هو الله تعالى، وكانوا يقرؤون: «وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ»، ويُنَكِّرون على مَنْ يقول: هو عبد الله بن سَلَام وسَلَمَان؛ لأنهم يَرَوْنَ أَنَّ السورة مكية، وهؤلاء أسلموا بالمدينة^(٥).

وروي عن النبي ﷺ أنه قرأ: «وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ»، وإن كان في الرواية ضعف، وروى ذلك سليمان بن أَرْقَم، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه، عن النبي ﷺ^(٦).

(١) ص ٥٣٤.

(٢) الاستيعاب (على هامش الإصابة) ٢٢٨/٦.

(٣) في النسخ: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ قال: هو عبد الله بن سلام قلت: وكيف يكون... وهو خطأ، والمثبت من مصادر التخریج، فقد أخرجه سعيد بن منصور (١١٧٧ - تفسير)، والطبري ٥٨٦/١٣، والنحاس في الناسخ والمنسوخ ٤٧٩/٢. وأبو بشر هو جعفر بن إياس.

(٤) قول سعيد بن جبیر أن مَنْ عنده عِلْمُ الْكِتَابِ هو جبریل، ذكره الماوردي في النكت والعيون ١١٩/٣، وأخرج النحاس في الناسخ والمنسوخ ٤٧٨/٢ عن ابن عباس قال: سورة الرعد نزلت بمكة، فهي مكية.

(٥) النكت والعيون ١١٩/٣، وذكر القراءة عنهم ابن جني في المحتسب ٣٥٨/١.

(٦) معاني القرآن للنحاس ٥٠٨/٣، وأخرجه أبو يعلى (٥٥٧٤) بهذا الإسناد، وسليمان بن أرقم ضعيف =

وَرَوَى محبوبٌ، عن إسماعيلَ بنِ محمدٍ اليمانيّ أنه قرأ كذلك: «وَمِنْ عِنْدِهِ»
بكسر الميم والعين والذال «عُلِمَ الكتابُ» بضمّ العين ورفّع الكتاب^(١).

قال عبد الله بن عطاء: قلت لأبي جعفر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام: زعموا أن الذي عنده علم الكتاب عبدُ الله بنُ سَلام، فقال: إنما ذلك عليّ بن أبي طالب عليه السلام^(٢)، وكذلك قال محمد ابن الحنفية. وقيل: جميعُ المؤمنين، والله أعلم.

قال القاضي أبو بكر بنُ العربي^(٣): أَمَّا مَنْ قَالَ: إِنَّهُ عَلِيٌّ، فَعَوَّلَ عَلَى أَحَدٍ وَجْهَيْنِ: إِمَّا لِأَنَّهُ عِنْدَهُ أَعْلَمُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَلْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعِثْمَانُ أَعْلَمُ مِنْهُ. أَوْ لِقَوْلِ^(٤) النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله: «أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا»، وَهُوَ حَدِيثٌ بَاطِلٌ^(٥)؛ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله مَدِينَةُ عِلْمٍ، وَأَصْحَابُهُ أَبْوَابُهَا؛ فَمَنْهُمْ الْبَابُ الْمَنْفِيسُ، وَمَنْهُمْ الْمَتَوَسِّطُ، عَلَى قَدَرٍ مَنَازِلِهِمْ فِي الْعُلُومِ.

وَأَمَّا مَنْ قَالَ: إِنَّهُمْ جَمِيعُ الْمُؤْمِنِينَ، فَصَدَقَ؛ لِأَنَّ كُلَّ مُؤْمِنٍ يَعْلَمُ الْكِتَابَ وَيُدْرِكُ وَجْهَ إِعْجَازِهِ يَشْهَدُ^(٦) لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله بِصَدَقِهِ.

= كما ذكر الحافظ في التقریب. وأخرجه الطبري ٥٨٦/٣ - ٥٨٧ من طريق هارون الأعور عن الزهري به، قال الطبري: هذا خبر ليس له أصل عند الثقات من أصحاب الزهري. وذكر هذه القراءة ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٦٧، وابن جني في المحتسب ٣٥٨/١، كما سلف.

(١) معاني القرآن للنحاس ٥٠٩/٣، وهي في القراءات الشاذة ص ٦٧، والمحتسب ٣٥٨/١ عن علي بن محمد وابن السميع.

(٢) ذكر قول أبي جعفر الطبرسي في مجمع البيان ١٩٣/١٣، وذكره ابن العربي في أحكام القرآن ١١٠١/٣ دون نسبة.

(٣) في أحكام القرآن ١١٠٢/٣. والقول الأخير وما سيأتي بين حاصرتين منه.

(٤) في النسخ عدا (ظ): ولقول، والمثبت من (ظ) وأحكام القرآن.

(٥) وقال الحاكم ١٢٦/٣ بعد أن أخرجه من حديث ابن عباس: هذا حديث صحيح الإسناد. فتعقبه الذهبي

بقوله: بل موضوع. وقال أيضاً ١٢٧/٣: العجب من الحاكم وجرأته في تصحيحه هذا وأمثاله من

البواطيل. وقال ابن الجوزي في الموضوعات ٤٥٦/٢ بعد أن ذكر طريقه: والحديث لا أصل له.

(٦) في النسخ: ويشهد، والمثبت من أحكام القرآن.

قلت: فالكتاب على هذا هو القرآن.

وأما مَنْ قال: هو عبد الله بن سَلَام، فَعَوَّلَ على حديث الترمذي، وليس يمتنع أن تنزل في عبد الله بن سَلَام سبباً وتتناول^(١) جميع المؤمنين لفظاً، ويعضّده من النّظام أن قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني [به] قريشاً، فالذين عندهم علمُ الكتاب هم المؤمنون من اليهود والنصارى، الذين هم إلى معرفة النبوة والكتاب أقرب من عبدة الأوثان.

قال النحاس^(٢): وقول مَنْ قال: هو عبد الله بن سَلَام وغيره، يُحتمَل أيضاً؛ لأن البراهين إذا صحّت وعرفها مَنْ قرأ الكتب التي أنزلت قبل القرآن؛ كان أمراً مؤكّداً، والله أعلم بحقيقة ذلك.

تمّ تفسير سورة الرعد، والحمد لله.

(١) في النسخ عدا (ظ): أن ينزل في عبد الله بن سلام شيئاً ويتناول، وفي (ظ): أن ينزل شيء في عبد الله ابن سلام ويتناول، والمثبت من أحكام القرآن.

(٢) في معاني القرآن ٥٠٩/٣.